بوكيه

بوكيه

BOUQUET

"صحبة نساء"

نورا نور الدين

اسم الكاتبة: نورا نور الدين
اسم الكتاب: صحبة نساء
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – اغسطس ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 /

المكتبة العربية
للنشر والتوزيع
Arabic Library

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

هذا الكتاب هو هديتى

إلى زهرات العمر

صديقاتى

و إلى

زهرة "التوليب"

وردتى الصغيرة "آيتن"

عسى أن تحيطك هالة الجمال التى تميزك طوال الحياة

إهـــداء

إلى

الباحثين عن أثر الفراشة

دمتم للأرض رطبها ومنبع سلامها الداخلى

أثر الفراشة لا يُرى ...

أثر الفراشة لا يزول

محمود درويش

لا يجب أن تُباع الورود منفردة

لا فرق فى ذلك بين أن تُلصق وحيدة فى طرف سيارة فارهة بمواكب الأعراس، أو أن تُنثر فوق مقابر الأموات

أو أن تُعرض، فى أيدى الباعة بإشارات مرور الحياة المزدحمة

ففى كل الأحوال

يشتريها شخص عابس ضجر من حرارة الجو وزحام الطريق، يسرق منها فتات رحيقها المتبقى بين البتلات الذابلة ثم يرميها

هى نفس النهاية يا عزيزى

لا تقتات الورود ذهبا، ولا تغنيها الأوانى الكريستالية عن مداعبة نسيم الصباح، أو دبيب أجنحة الفراشات فوق بتلاتها لتحمل عنها أمانة نقل بذورها فتضمن لها البقاء والخلود مرفوعة الرأس بين الحقول

تحتاج الورود لحبات المطر لتسرق منها لمعة قطرات الندى على خدها، ولصوت العصافير الذى لولاه ما انتبهت الأنظار لجمال ألوانها، وللنسيم البارد ليمررعطرها الفواح كل صباح من بين فتحات نوافذ النائمين فيوقظهم على جمال الكون المتجلى بين أغصانها البديعة

تحتاج الورود

لـــــ "صُحبة تجمعها"

لماذا لم يتوقف بنا الزمن عند عصر "المداد والريشة"، حيث تترك أجنحة الطيور في كلماتنا فيضا من أثرها الحالم، ورغبتها اللانهائية فى الطيران خارج حدود الممكن والمعقول

ريشة وقلم

المشهد الأول / ليل داخلى

حجرة مكتب تغلفها حرارة اللون الأصفر المنبعث من المصابيح الكهربائية.

وخلف المكتب الخشبى تجلس " ن. س" صاحبة العمود الأسبوعى "ريشة وقلم" بالمجلة النسائية الشهيرة "نساء العصر" تستقبل كعادتها حكايات الحائرات لتبحث معهن عن حل.

ولكن اليوم لديها مهمة أخرى.

أمسكت بقلمها تحاول من جديد كتابة ميلاد لهذا الخطاب المتعثر التاريخ ٢٦ من مايو لعام ٢٠١٩، كلمة بمناسبة العيد الثالث لتأسيس جمعيتنا الموقرة ..

بسم الله، سيدات الجمعية الفضليات، تحياتى،،

"أنا وإن كنت عطشى؛ إلا أنى من عينيك أرتوى...

يصيبني كل ما في الكون بالعطش، تتصحر الأرض من حولي ويصيب الجدب أركاني.. أغدو تحت تأثير كل ما أصابني كفلاة لا تهتم حتى الإبل

بزيارتها.. غير أن السيل المنهمر منك داخل فمي المتحجر عطشا يكفي لغمري بطعم الارتواء دون قطرة ماء

يكفيني ما يأتيني منك على ندرته وغرابة طبعه... ما حاجتي لألوان الزهور الفاترة؟!

ألا تبدو اللوحات المرسومة من لون رمال الصحراء الممتدة، ووهج الشمس المشرقة دافئة و بهية تكاد تنطق بالحيوية والأمل؟!

أبدو ذهبية؟!

لا ورود بداخلي

ولكن ما ضرّ لون الذهب وهو إن قارنته العيون المتلهفة للجمال بقرمزية الورود لربح حتما المنافسة.

أشقيتني حتى بدا الشقاء _ذلك الملهم للشعراء و الأدباء والفنانين _ أكبر متعة من نعيم الحياة الذى يدفعنا دفعا للنوم متكومين على أطرافها حتى نفسح مجالا لطوفان البشر السعداء البلداء المجاورين لنا في رحاب منطقة الراحة الوهمية، يزاحموننا الفراغ السرمدي الذي يلفنا جميعا بلا تمييز.

ارتفعت هامتي بشقاءك لتطال جوار الصفوة و المختارين، أولئك الذين ينامون كل ليلة فوق غيمة صنعت خصيصا لتتسع لأحلامهم، فدائما ما يحلم الأشقياء أحلاما عريضة

أبكي اشتياقا ليوم لا ولن يأتي فتضئ عيناي مثل النجوم العابرات فوق نوافذ الساهرين المغرمين، يستقي كل منهم فرحته من ضوء دمعي، وتضحك شفاههم ضحكة صادقة حقا، لا ولن يعرفها قلبي المتعب أبدا قل لي إذا لماذا علىّ أن أترك شقائي في حبك لأبحث عن سعادتي في وحل التربة الطينية المستسلمة دوما ليد زارعها وساقيها، تطرح قمحا براقا يوما، وفي اليوم التالي تطرح حشائش خضراء عديمة القيمة؟!

أنا هنا في هذه الصحراء الجرداء _التي لا تضم سواي أنا وطيفك_ سيدة أمري، وسيدة هذا الكون الذي صاغته معاناتي، ولقد أمرت بأن يكون الحزن أشهى، وأن يكون البحث الوحيد المستحق للألم هو البحث عن وجع يضرب قلوبنا فيزيل قشرتها الصلدة، لنتحول بعدها إلى عصافير ضعيفة، أو فراشات مكسورة الأجنحة

وإن صادفني ها هنا أسدا أو ذئبا أو ضفدعا فسأشفق عليه، سأسلم رأسي للأسود والذئاب لتلتهمها، وأترك الضفادع تنعق في أذني حتى

يُطهّرهم ألم الخطيئة، ويتحولون بفعل إحساس الذنب المميت إلى فراشات وعصافير تطير مثلي في فلاة الحب

سأرحمهم لا ضعفا مني ولكن من واقع قوة من يعرف قصتهم يملك ناصية الأمر من يعرف حقا من أين أتانا الجرح، من سمع بقلبه حكايتنا

لم يأتي حتما أسدا أو ذئبا إلى صحرائي هذه إلا موجوعا من جرح صعب يشبهني، كما أن الضفادع لم تترك بركتها الراكدة عبثا.

هذا الصوت المزعج المنطلق من حنجرتها كان ليكون غناءا عذبا لو سنحت له الفرصة لينطلق من قلب الضفدع بدلا من حنجرته" سقط القلم من يدها للمرة الخامسة ليوقظها بعنف أكبر من كل مرة، يكاد يصرخ فيها _ إن كان له أن ينطق _ اكتبي كلاما يُعقل!!!

سحبت ورقة جديدة من دفترها وعادت تكتب...

"إن الاستسلام المزعن لمشاعر القلب لهو أمر لا يليق إلا بالضعفاء، وعلينا نحن نساء جمعيتنا محاربة التهمة الملعونة الموجهة دوما لنا بالضعف والخنوع.

لسنا ضعيفات ولا رقيقات، لن نستسلم لقلوبنا، لا حب بعد اليوم، ولا لكتابة الشعر، شكرا لكن .. انتهى الخطاب"

مسرور يا قلمى الآن؟! سألته معاتبة عدم سماحه لها بكتابة ما ترغب يأبى القلم أن يسمح لرقيقات القلب بشرح حقيقة قصتهن، يدفعهن قسرا لإثبات حقيقة "الكذبة المشهورة" أن الحب أضحى سرابا، وأن من تحاول منهن مطاردته ستضيع بلا رجعة..

"لماذا لم يتوقف بنا الزمن عند عصر "المداد والريشة"، حيث تترك أجنحة الطيور في كلماتنا فيضا من أثرها الحالم، ورغبتها اللانهائية فى الطيران خارج حدود الممكن والمعقول"

وضعت ما كتبت بالورقة الأولى تحت وسادتها كالمعتاد، أملا فى أن يهديها حلما منصفا ذات مساء تتحقق فيه الأمنيات، وسحبت الورقة الثانية طوتها باهتمام شديد لا مبرر له سوي خشيتها من رد فعل لا شعوري يتسبب في إضاعتها أو تمزيقها

وضعتها في حقيبة يدها، وانطلقت مسرعة لتلحق بموعد الحفل السنوى لجمعية "نساء بلا قلب"

انضمت للجمعية الشهيرة بعد نصيحة قلمها المرهف بأن تترك هذا الضعف الذي أصاب قلبها على فراق رفيق الدرب، وصانع نبضه_تلك الأوصاف التي لم تعد تليق به_، علينا أن نبدأ مرحلة جديدة، لا ضعف فيها ولا شعرا

مسحت كل ما كتبت لأجله من كلمات، و تعهدت لعضوات الجمعية الفضليات اللاتى وجدن فى انضمام الأديبة الشهيرة لهن فرصة عظيمة لنشر مبادئهن، وعدتهن بأن يتحول قلمها لسوط يجلد كل المخدوعات بكلامها السابق، ستنصح كل نساء العالم ألا يكتبن الشعر لأحبابهن.

يستهتر الرجال بمشاعر أي امرأة "تكتب" ، تبدو لهم هدفا سهلا بمشاعرها المكشوفة كسلك عار، تستحق معاناتها التي تجلب لها تصفيق جماهير المعجبين بكلماتها وسطورها الحزينة، وبقصصها البائسة. اشترت باقة من الزهور المنزوعة من أغصانها _ مصدر قوتها_ ثم مضت متسائلة:

من الذي جعل الزهور شيئا يشبه "علبة الهدايا المخملية" تعطينا إحساسا لحظيا بمشاعر لا تملكها ثم تترك لتعانى الموت بعدها فوق منضدة في انتظار أن يلتفت أحدهم يوما لوجودها الذي أضحى غير مرغوب فيه فيلقيها بسلة المهملات

مضت في طريقها لمقر الجمعية تسرع الخطى، وترفع رأسها عمدا، وتتشمم الزهور مرتين في كل دقيقة بلا جدوى للوصول لرائحة عطر حقيقية تفوح منها، تتأمل ألوانها أحمر.. وردي.. أبيض.

لماذا لا يوجد ورد ذهبى؟!

من قال أن اللون الذهبى لا يليق بالورود؟!

لربما أعطاها عمرا أطول

على باب القاعة الفاخرة تأملت لمعان كل شئ في المكان تحت تأثير ضوء المصابيح الصفراء، الأطراف الخشبية المذهبة للمقاعد، وفوهة كؤوس المياة العالية المحلاة بالذهب أيضا، والحلي المتدلية من أعناق سيدات الجمعية الفضليات.

استقبلتها رئيسة الجمعية بترحاب شديد، يطغى على لهجة العتاب المستترة فى كلامها لتأخرها الشديد عن الميعاد:

- الجميع فى انتظارك، كاد الحضور يغادرن الحفل ولكن لا يهم.. حمدا لله على سلامتك.

لا معنى للحفل بدونك، وبدون كلماتك المؤثرة فى حماس الأخوات الفضليات

كادت تشرح لها ما حدث من صراعها مع قلمها غير أن صوت العصفور الذى انطلق من هاتفها معلنا عن قدوم رسالة جديدة قطع حديثها، فتحت

الهاتف لتقرأ الرسالة التى فيما يبدو تنتظرها منذ ثلاث سنوات مضت ثم ابتسمت ورفعت رأسها بفخر حقيقي غير مصطنع.

بادرتها السيدة الفاضلة بالسؤال ماذا كتب لنا قلمك اليوم أيتها البطلة؟

سلمتها باقة الزهور الذابلة بفعل المحاولات المستميتة لاستخراج العطر منها، وأجابت بارتياح: لم يعد لدي قلم

جئت فقط لأخبركم أني منذ اليوم سأكتب بالريشة

المشهد الثاني

نهار داخلى

حجرة مكتب ينبعث منها دفء حرارة نور الشمس، تتطاير الأوراق بفعل النسيم القادم من النوافذ المفتوحة.

وخلف المكتب الخشبى تجلس "ن.س" تصيغ من جديد رسائل قارئاتها التى ترد عليها بقلمها كالمعتاد.

كتبت:

اليوم وبفعل الريشة صار للكتابة دورا مختلفاً.

سأصيغ الآن حكايات لنساء هذا الجيل لا بالأقلام وقساوتها المعهودة، ولكن بمداد أحمر يبحر فى القلوب ويجرى فيها مختلطا بالدم متخفيا فيه بين ثناياه لعلها تُلهم من يفتح قلبه وحواسه لالتقاط الأثر المخفى بين السطور.

الرسالة الأولى

عزيزتى "الوردة البلدى"

حتى وإن ضاقت الأرض تأكدي دائما أن بداخلك المتسع

ولأثبت لك ذلك

إليك هذه القصة

أحبك،،

ن.س

الهروب من الرحلة

كان الزحام شديدا فى الميدان، تعطلت سيارة السرفيس التى تقودها، وبدا الركاب الخالين من المرح متذمرين، يتجاهل عقلها المرهق الصيحات الغاضبة وعندما تزيد أكثر وتصير فوق احتمالها تبادلهم بصرخة أقوى يعرفها كلا من الركاب المترددين عليها يوميا والسيارة فيمتثلون لإصرارها على استكمال الرحلة حتى نهايتها، تعود فى نهاية اليوم إلى بيتها بالشارع الضيق المختفى خلف أضواء الميدان الواسع الساطعة بما يكفى لتنفى تهمة أى علاقة بينهما.

تسحب من عقلها تفاصيل اليوم المتعب، وعن رأسها غطاءه لتلقيهما معا دفعة واحدة عند أقرب نقطة تقابلها، لتبدأ عقارب قلبها _ المتوقفة قسرا _ العمل بين جدران البيت "الحبيبة رغم قسوتها"، والصغار الذين يمثلون حجرات قلبها الأربعة "أذينين و بطينين" أو " صبيين، وفتاتين" هم مصدر الدم المتدفق فى جسدها ليوزع عليه الحياة<

تبذل جهدا كبيرا حقا لإقناع البيت بالاضطلاع بمهمة ضمها وأبنائها، تتحايل على الجدران لتبقى صامدة ضد عوامل الزمن، وتدلل المصابيح الكهربائية لتديم نورها عليها.

"لا تذهبى يا حلوة فربما لا يمنحنا الغد غيرك ليضئ لنا عتمة البيت"

لا يصلح الدلال لكل شئ

تهتف مضطرة فى صنبور المياة معلنة قدومها لإصلاح العطب الذى يمنعه من إرسال الماء اللازم لغسل عناء الطريق وترابه المتراكم على وجهها تمتثل المياة لأمر السيدة؛ وتعود للتدفق بسلاسة، دائما ما تنتصر.

غسلت وجهها، بدت مرتاحة بما يكفى لتسمع؛ فانطلق الصغار يحكون:

كيف كان يوم الكبير، وماذا فعل هذا الصبى أوسط إخوته، ماذا تريد الصغيرة المدللة الآن منها بكل هذا الصياح، وأنتى يا رابعة إخوتك أيضا لا ارتاح لصمتك هذا ..... "كفى"

سمعت ما يكفى ليجعلها تصرخ عليهم جميعا، يعرف الصغار صوت صرختها ويخشون على أنفسهم وعليها منها، لا يتحملون رؤيتها تصرخ

ربما كان هذا أكثر ما جعلهم ينضجون ويتخلون عن سذاجة صراعات أبناء أعمارهم المتفاوتة.

لا تحكى هذا لأمك" تسمعهم يهمسون" فتضحك متخفية.. تعلم أن الحياة لم تبخل علي صغارها ببعض من الأحمال التى ألقتها عليها، على الأقل

يتولون عبء حل نزاعاتهم الصغيرة، حتى يفيض الأمر بقدراتهم المتواضعة فيستدعون" صرختها" لتنهى الأمر.

انتهى كل شئ يحتاج للإصلاح فى البيت، وانتهت من حل مشاكل الصغار، ولم يصل إحساس الراحة المنشود إلى قلبها بعد

نظرت فى المرآة المشروخة المثبتة على الحائط بأعجوبة لتلمح وجها لم يفقد بريقه بعد، لازالت سنوات عمرها الشابة التى لم تتجاوز الخامسة والثلاثين تطل من بين قسماته، تحمل نفس العيون البراقة التى دخلت بها إلى هذا البيت منذ سنوات قصيرة شابة فى مقتبل حياتها الزوجية.

مازال أنفها يشم رائحة الأمل التى التقطها فى ذاك اليوم بعيش حياة سعيدة هانئة وإنجاب أربعة أطفال تجعلهم بحنانها _ وحنانها وحده كفيلا بذلك_ أسعد وأعظم أطفال العالم

ضحكت نفس الضحكة التى تهديها لنفسها كل يوم قبل أن تبدأ رحلتها التى كان عليها خوضها بعد غياب الأب عن البيت لمكان غير معلوم تاركا لها حلم "البيت السعيد والأطفال العظماء" لتحققه وحدها

غابت ابتسامتها للحظة تحت تأثير الغصة التى تعتصر قلبها كلما تذكرت ما كان.

حدثتها نفسها قائلة: لن تستقيم الحياة هكذا، لن يصلح قلب مثل هذا لمواصلة صراخه المعتاد كل يوم.

وفيما بدا كروتين يوميلا يختلف شيئا عن رحلتها الصباحية، أعادت غطاء رأسها، واستقلت السيارة باتجاه الميدان الواسع.

بدأ الركاب فى التدافع لحجز أماكنهم معها كالمعتاد، أغلقت باب السيارة قبل أن يلحق بها أحدهم وانطلقت بسرعة الريح، يخفى صوت ضحكتها الطفولي وصوت الموسيقى الصاخبة الصادر من راديو السيارة كل محاولات إيقافها، ويعبث الهواء المندفع بشدة _متأثرا بسرعتها_ بغطاء رأسها كاشفا عن خصلات شعر حرة تماما كصاحبتها .

استكملت رحلتها عائدة، فتحت باب السيارة كإشارة سماح للركاب المندهشين من عودتها والسماح لهم بمصاحبتها، حسمت بصرخة أعلى قوة من أى وقت مضى خلافهم حول أحقية الفوز بالمقعد المجاور لها، " لن يجلس أحد هنا، هذا المكان مخصص لشخص لم يأت بعد"

انطلقت يصاحبها حلمها القديم يوم كانت طفلة صغيرة تمر بهذا الميدان الواسع في أيام العيد تتأمل السيارات الفارهة المارة بثقة تعكس قوة الجالسين خلف عجلات قيادتها، غير عابئين بحبات المياة التى تتناثر بفعل حركتهم فوق فستانها البسيط فتفسده، يومها أقسمت أن تكون هى قائدة

الرحلة التى ستقلها من هذا الميدان لتصبح يوما نجمة تلمع ببريق جديد من نوعه فى خيال الهاربين من عقارب الساعات.

اختارت سيارة السرفيس من بين مشروعات عدة عرضتها عليها إحدى الجمعيات الخيرية لمساعدتها وأطفالها غير عابئة بنصائحهم لاختيار مشروع آخر أكثر راحة، ويوم جلست فوق مقعد القيادة لأول مرة، أطلقت صيحتها الأولى التى أسمعت كل من فى الميدان.

والتى و من وقتها لا يجرؤ أيا من كان على الوقوف أمامها.

الرسالة الثانية

عزيزتى "عصفورة الجنة"

لماذا تهتمين بآرائهم إلى هذا الحد؟

هل أقنعوكى أنهم على صواب وأنك وحدك على خطأ؟!

تبا لهم

إليك هذه القصة،،

أحبك،،

ن.س

العلاج بالصلصة

شحوم فى الوجه.

أسنان لا تتوقف عن العمل.

أقدام فيل .

وخصر دائرى بلا أى منحنيات.

هكذا بدت للطبيب النفسى الشهير منذ اللحظة الأولى كحالة سهلة يستطيع تشخيصها منذ اللحظة الأولى.

دعاها للجلوس على الشزلونج المريح أمامه ممنيا نفسه بجلسة خفيفة ويوم عمل مريح، فغالبا ما لا تكون الحالات أمامه بهذا الوضوح يأتيه فى الغالب مرضى فصام ومصابين بالاكتئاب وهم كثُر هذه الأيام، وعليه أن يسمع لحكايات كئيبة ودموع تنهار ويحاول مرغما أن يجعلهم يقبلون على حياة بالكاد يستطيع إرغام نفسه على المضى فيها.

أما هى فما عليه سوى مواجهتها بسد شهيتها المفتوحة للطعام وللحياة حتى تتخلص من مرضها، وبعد كلام كثير لم يرى أى رد فعل على وجهها.

فعلا جلدها "تخين" !!

مثل هذا الجسد الضخم لا يمكن أن يحوى أنثى رقيقة، يجب أن تكون الأنثى نحيفة حتى تكون مرهفة الإحساس، هذه حقيقة علمية مثبتة لم يراجعها أحد ولم يحاول أى من علماء كل هذه العصور المتتالية اختبارها.

أما هى فتعرف كل هذا ولا تحاول مجادلة أحد بل تستعد مسبقا قبل الحديث اللزج إياه حول وزنها الزائد لإفراز مادة دفاعية من مسام جلدها تغلق ممرات الإحساس عبره لتزيده وتزيد روحها أيضا صلابة.

تنظر بسخرية لمن تحاولن التخلص من أوزانهن عبر إجراء علميات جراحية صعبة ومعقدة.

"ادخل برجلى أوضة العمليات!!!" هذا هو الرد الدائم على صديقاتها اللاتى يشفقن دوما على ملامحها الجميلة من الاختباء خلف شحوم وجهها، تحتفظ بصورة وحيدة لنفسها قبل أن يزيد وزنها لا تريها لأحد

"لا يجب أن تكرهى نفسك من أجل وزنك الزائد" .. أنا لا أفعل.

"يجب أن تعاهدى نفسك لتبدأى بداية جديدة اذهبى للصالات الرياضية واتبعى وصفات التخسيس" .. لن أفعل.. أنا لا أريد ذلك.

"لدى قائمة بأسماء عدد من أطباء التخسيس بإمكانى أن أتوسط لك لدى أحدهم، أعرف أيضا أرقام الكثير من أصحاب الصالات الرياضية فمعظمهم زبائنى سأحصل لك على عرضا جيدا للإشتراك فى إحداها"

ردت ضاحكة: أعرفهم جميعا واحدا بواحد.. إذا كان هؤلاء هم أصدقائك فلا عجب فى نصائحك التى أسمعك تلقيها يوميا فى برامجك التليفزيونية الشهيرة.. فالمرء على دين خليله .. كان يجب أن تنظر من تخالل أيها الطبيب، أنت وهم تحتاجون لوساطة لدى طبيب أكبر يعالجكم جميعا

لم يستطع الصبر عليها أكثر من ذلك: اذهبى من وجهى إذن.

صرخ الطبيب النفسى منفعلاً، فهو لا يعلم لماذا أتته هذه الفتاة التى تبدو متصالحة مع ذاتها أكثر منه هو شخصياً.

للحظات فكر فى أن يتبادل معها الأدوار ويجلس هو على الأريكة المريحة ويترك لها مقعده ليحكى لها أزماته وصراعاته النفسية.

غير أن كبريائه كطبيب دفعه للاستمرار فى لعب الدور المرسوم بالنصح والإرشاد لتلك الفتاة الحكيمة:

تدّعين التصالح مع ذاتك ولكن بالتأكيد جرح العلاقة العاطفية إياها التى بائت بالفشل يحرك اللاشعور لديك ولهذا أنتى هنا يا آنستى العزيزة.

وماذا كان سيضيف لى رجلا يريد أن يرانى صورة كربونية من نساء لا يشبهن أى من معارفه.. أمه بدينة وأخته أيضا وكذلك رئيسته فى العمل..

إذا لم يحبنى رغم كل شئ كأمه.. ويتصالح مع عيوبى كأخته.. ويحترمنى ويوقرنى مثلما يفعل مع رئيسته فى العمل فلا حاجة لى به.

- امممم، نعم معك حق، فتاة عملية مثلك بالتأكيد لا يؤلمها فراق رجل، إذن يضايقك وزنك الزائد لأنه هو العائق الذى يقف أمام طموحك فى الحياة.
- طموح؟! طموح لأن أفقد شهيتى؟! متعتى الوحيدة فى هذا العالم؟!.. وماذا سيفعل لى الطموح إذن؟ يهبنى أموالا كثيرة يحق لى فقط أن أشترى بها كل تلك الأطعمة التى لا أحبها كالقهوة المُرّة والبسكويت الخشن، والكثير الكثير الزائد عن حاجتى من الملابس التى لا ترضى إلا أذواق من يروها فقط؟! هذا إلى جانب دفع أثمان باهظة أشترى بها بعضا من حمرة الخدود والشفاة الصناعيتين لأدارى شحوب وجهى وكآبته الدائمين...حضرة الطبيب أنا سعيدة، أقولها لك بصدق أنا سعيدة.
- وما الذى أتى بك إذن لعيادة الطبيب النفسى ؟؟
- جئت لأعلمك نظريتى فى العلاج، لتنقلها لمرضاك بدلا من كل هذا الهراء الذى تلقيه عليهم وتتناقله عبثا عنك وسائل الإعلام.
- نظريتك؟؟

- نعم، نظرية العلاج بالصلصة.

فى هدوء استسلم لرغبته الجامحة التى تراوده منذ بدء الجلسة وانتقل ليجلس مكانها على الشيزلونج وترك لها مقعده لتبدأ فى شرح نظريتها الحديثة.

-الصلصة يا دكتور هى اللون والنكهة الذى نضيفهم لطعامنا والتى بدونها يصبح كل شئ بلا طعم أو لون أو رائحة، إذا كنا نفعل هذا للطعام فلماذا لا نفعله لباقي حياتنا أيضا؟!.. لابد من إضافة بعض الصلصة فوق هذه الحياة لنبتلعها.

انصح مرضاك بإضافة دفء الألوان الحارة لعلاقاتهم بدلا من محاولات التصالح البائسة مع أشخاص لا يأبهون بمرارة المذاق الذى تتركه أفعالهم فى أفواهنا، قل لمرضى الاكتئاب المزمن أنه كان عليهم مسح الأطباق التى تركوا بها بقايا ثورة أو غضب فى كل تجربة مروا بها .. لقد كان عليهم التهامها حتى الفتات، كان عليهم ملاحقة الأحلام التى لم يكملوها، ومتابعة الأحزان التى لم يبكوا عليها جيدا، واستئناف وصلة الغضب التى أوقفوها غصبا بحلوقهم فى وجه أيا من كان.. إن بقايا المشاعر كما بقايا

الطعام التى نتركها فى الأطباق تطاردنا وتختصمنا طوال حياتنا وحتى يوم القيامة أيضا.

انصح الفتيات اللاتى صارت عيادتك تمتلأ بهن بالتوقف عن استخدام دهانات الزينة اللاتى يرسمن بها على وجوههن علامة "أن لا شئ سئ يصير معنا"، فكل شئ سئ قد حدث.

قل لهن إذن أن يدعن الحلو والمالح يتبادلان الأدوار على ملامحهن دون تكبد عناء التخفيف من أى منهما، تماما مثلما نضع الملح والسكر معا فوق معجون الطماطم لنصنع الصلصة.

اعتدل فى جلسته مستعيدا وضعه كسيد هذا الجدال:

- هل انتهيتى؟!

- نعم

- إذا اخرجى ولا تعودى لهنا أبدا مرة ثانية

وأمام اصرارها على الاستغراق فى الدور الذى تلعبه نهض من الشيزلونج ليدفعها خارج حجرة الكشف عنوة.

- يا دكتور.. انتظر.. يا دكتور

- أغلق الباب خلفها بسرعه

ليسمعها تجادل سكرتيرة العيادة حول قيمة الكشف فهى قد راهنتها أنها ستجعل الطبيب بنفسه يقول لها لا تأخذى منها أموالا، بل وربما طلب منها دفع بعض الأموال إليها أيضا..

الآن وقد رأتها تخرج مطروده من حجرته ليس هنالك مفر أمامها من دفع المبلغ الكبير الذى لم تحسب حسابه أبدا حين قررت خوض هذه المغامرة بطرق عيادة الطبيب النفسى الشهير.

في الداخل يبدو الطبيب منتشيا بصوت مماطلتها مع السكرتيرة لإمهالها فرصه للذهاب للمنزل لجلب المبلغ المطلوب..

راح يقلب قائمة الأرقام في هاتفه ليجرى اتصالاته كالمعتاد بأصدقائه من أصحاب القنوات التليفزيونية ليعيد تأكيد مواعيد ظهوره فى برامجهم، وللمفاجأة هذه المرة سيتنازل عن أجره فمن المهم "جدا" نقل رسالته للجمهور فى هذا الوقت.

وعلى الجانب الآخر اتبع اتصالاته بقائمة أصحاب الصالات الرياضية ليطالبهم برفع نسبته من الإشتراكات التى يرسلها إليهم فهو يقوم بعبء كبير لإقناع الناس عبر برامجه بضرورة الاشتراك فى صالاتهم.

انتهى صوت مجادلتها مع السكرتيرة بضحكة تشير إلى أنهما صارتا صديقتين"، اتبعتها السكرتيرة بحل يعصف بكل ما فعله "والله لتستنى لآخر العيادة.. وأنا هدخل أتوسط لك عنده متشيليش هم "...

وقبل أن تتصور أن "نظريتها" أنقذتها مرة أخرى أنهى آخر مكالمة بصديقه ضابط الشرطة مضيفاً:

" هبعت لك بنت كدة من عندى تتصرف معاها نصابة يا سيدى فاكرة نفسها هتضحك عليا.. مش عاوز أوصيك عليها ".

الرسالة الثالثة

عزيزتى "ياسمين"

لا تخجلى .. لا يعيب مشاعرنا قوتها

وإن أسقطتنا صرعى أمامها

إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

كيف حالك يا ؟

قال لى "كيف حالك يا .... ؟"

نعم هذه هى القصة وما فيها، قال كيف حالك يا ... ثم لم يتذكر اسمى لينادينى به ... وهل هذا قليل؟!

أنا التى أقف على بابه يوميا لألمح طيفه يمر أمامي، استجدى "صباح الخير" تخرج من فمه لى أو لغيرى لأسمعها " أحبك" " أريدك" و "اشتقت إليك" وغيرها من كلام كثير لم يقله.

اليوم قال لى "كيف حالك ياا ..."، خرجت من فمه وقصدنى بها ..

أقسم أنى كنت المقصودة .. كدت أستحلفه ليكررها ليعيدها أمامهم ليؤكد لى أمام الجميع أنى أنا المقصودة، غير أنه تحرك مسرعاً.

كنت أتمنى لو كان هناك مزيد من الوقت لأشرح له كيف حالى، ولأساله كيف حاله هو أيضا، ولماذا قرر أن يهتم بسؤالى عن حالى فى هذا اليوم؟

عموما يكفى هذا لليوم.

وما دام قالها فسيقول غيرها وغيرها وغيرها ... تبدا دائما القصة بعبارة حلوة أو كلمة بسيطة مثل كيف حالك، ثم يحدث كل شئ.

حتما سيحدث كل شئ بيننا ... والآن ماذا؟ هل سأنتظر؟.

بإمكاننا أن نجلس فى انتظار الأمل وبإمكاننا أن نزرعه زرعاً

سأنتظره على عتبات السلم يوميا، سيرانى كظله، سأرمى بنفسى أمام سيارته وسأتصل برقم هاتفه خطأ عشر مرات كل يوم، وإن لم يكفى كل هذا !!!، إذن سأواجهه مباشرة فى المرة القادمة التى سنلتقى فيها.

سأقول له أنه يحبنى، ولكنه لا يدري، أنا أعرف حاله أكثر منه ربما يكذب ولكن عينيه لا تكذب .. وأنا رأيت فى عينيه ما يكفى ليطمئن قلبى أنه اهتدى على يدي لبوصلته الصحيحة.

لا داعى للإنكار إذن .. أنا وقلبه نعرف حاله أكثر منه..

وفى اليوم المنتظر ألقت خطبتها العصماء فى وجهه.. نطقت كل الكلمات ببراعة أكبر ممثلى المسرح فقد سهرت طوال الليل تحفظها عن ظهر قلب، ولكنه وبدلا من أن يمتثل لأمر قلبه وأمرها كما كانت تحلم، التفت بحثا عن أقرب شخص يمكن أن يساعده ليتخلص من هذه المجنونة،.

صعدت لشقتها التى تعلو مقر الشركة التي يعمل بها ، أغلقت عليها حجرتها .. يحتاج الأمر التركيز فى هدوء بحثا عن حل جديد.

هذه هى الصدمة الأولى... هو يراجع حاله حاليا ..تأثر بحالى بالتأكيد غير أنى ربما قد أخجلته قليلاً بجرأتى..ولكن في النهاية قطعاً سيبيت هذه الليلة يحلم بى ويعيد على نفسه كلامى كلمة كلمة.

والآن ماذا؟ لابد من طرق الحديد وهو ساخن.

غدا سأتشاجر معه ليعلم أنى غضبت عليه ليتخلى عن خجله هذا

لا محبة إلا بعد عداوة كما يقولون.

انتظرته مرة أخرى على عتبات السلم لتفتعل تصادما معه ثم انطلقت تصرخ فى وجهه مصطنعة كبرياءا لا يليق باللهفة التى تقفز من عينيها لتلتهم ملامح وجهه "يا أعمي .. أنت مرة أخرى..ألم ننتهى بالأمس".

لم تسعفه دهشته ليصدر أى رد فعل.. فقط أعطاها ظهره وأغلق باب الشركة الذى يبقى مفتوحا فى العادة من خلفه.

تاركاً إياها تنزف دموعا أغرقت السلم الرخامى البارد بحرارتها.. تسمّرت فى مكانها مثل حصان ظل يجرى بأقصى سرعته مستمتعا بالسير على طريق ممهد فى وقت صبح شمسه معتدلة،، ثم فجأة أصر راكبه العنيد على شد لجامه بمكان غير مناسب على الإطلاق ليشترى علبة دخان أحمق يخنق به صدره ويفسد اعتدال حرارة الجو.

تصادمت بعده بكل من مروا أمامها عن غير قصد وهى تهبط السلم لا تدرى إلى أين، تذكرت فجأة أنها تسكن بالأعلى فعادت لتصعد درجات السلم تعلو وجهها حالة من النشوة والنصر استردتها فجأة عند وصولها لعتبة باب شقته فأطلقت ابتسامه بلهاء تكشف عن ميلاد مزيد من شحنات الأمل بعقلها للوصول لخطة جديدة تفضى بها إليه.

وفى اليوم التالى

قضت نصف اليوم تصعد وتهبط على السلم لتنفيذ خطتها غير أنه لا أمل فى أن يظهر، كما لو كان قد تبخر تماماً.

علمت بعدها أنه ترك العمل بالشركة التى تقع فى بنايتهم ولكن إلى أين ؟؟ لم تستطع الحصول على معلومات عن مكانه الجديد حيث أنهت مشاجرته مع مديره التى ترك على أثرها العمل علاقته بكل من فى المكان خوفا من تحذيرات المدير المتعنت بأن يلحق به أى شخص يثبت اتصاله به

وتحت تأثير اليأس الذى أصابها مرضت كثيرا، ثم قادتها زياراتها المتعددة للأطباء لمقابلته مرة أخرى في عيادة أحدهم.

دخل مصطحبا زوجته لزيارة الطبيب، وما أن رآها حتى أظهر اهتماما غير عاديا بزوجته فيما بدا كرسالة مقصودة لذى عقل لعله يفهم؟؟ غير أن

عقلها كان مشغولا بتأمل يد القدر التى حتما لابد هى دليل آخر على صدق محبتهما لبعضهما، وإلا ما أتت به الصدفة إليها مرة أخرى..

إذا كانت زوجته مريضه فهى ستموت حتما ويخلو لها الطريق..

راحت تسأل الممرضة بإلحاح بدا سخيفا عن مرض زوجته علّها تستطيع حساب كم من الوقت بقى أمامها لتتركه لها وتمضى

-"فال الله ولا فالك.. السيدة بخير"

هكذا تلقت الصدمه الجديدة من فم الممرضة ومضت... لا ليست هذه هى النهاية ... سيثيره فضوله ليبحث عني بعد هذه الصدفة، لا يمكن لرجل أن يتجاهل إمراة تبدو له كقدره.. جمعه الله بها على غير إرادته.

ما يزرعه الله بيده يطرح حتما حتى لو لم نسقه كما يجب.. لاتحتاج البذور الإلهيه لأسبابنا الدنيوية لتنمو.

سهرت ليلتها تفكر ماذا بعد، ومع انطلاق صوت آذان الفجر ألقت فى وجه الدنيا العنيدة التى تحاول الوقيعة بينها وبينه بسلاحها الأخير.

سأقيم الليل أدعو الله ليأتينى به. "ليس للمستحيلات المستعصية علينا حلا سوى أن نضعها بين يدى الله"

بكت ليلتها بكاءً أغرق سجادة غرفتها المظلمة.

دعوة واحدة فقط يارب حققها لى، وهل يستحق.؟؟!!

نعم بعضهم يستحق أن نفعل كل شئ لأجل لحظة واحدة يجمعنا فيها القدر بهم.. بعضهم يستحق المحاولة مرارا وتكرارا.. يستحق ألا نيأس مهما بدت الحواجز والعقبات بيننا كبيرة، استيقظت بروح مطمئنة هادئة لأول مرة منذ فقدت هدوئها واستقرارها النفسى تحت تأثير عينيه.

تليفون صغير من عيادة الطبيب يؤكد موعد استشارتها.

وعلى عتبات السلم ذاتها فاجئتها همسات العاملين بالشركة حول تغيير المدير وعودة زميلهم القديم ليصبح المدير الجديد للشركة، مضت تحت تأثير التعب لم تحاول التأكد من الخبر

استكملت طريقها لعيادة الطبيب لتقابل زوجته تدخل فى صحبة رجل آخر... تسمع همساتهم معا وكأنها موجهة لها لتعرف أنه زوجها الحقيقي وقد وافق أخيرا على اصطحابها للحضور مكان أخيها الذى ذهب لاستلام عمله اليوم.

لا تحتاج استشارة الطبيب بعد الآن.. عادت بأقصى سرعتها لمنزلها .. صعدت السلالم بنفس السرعة لتصطدم به هذه المرة عن غير عمد

وقبل أن تعتذر.. استوقفتها عبارته التى انطلقت من فمه هذه المرة كصفارة نهاية حكم المباراة معلنا فوز فريقها بكأس البطولة:

مرة أخرى قال لها: "كيف حالك يا؟؟""

الرسالة الرابعة

عزيزتى "زهرة الزنبق"

وماذا هنالك لو استمعنا لصوت الحكمة وإن كان صادرا من أفواه صغيرة

لا تنطق الأفواه الصغيرة إلا صدقا

إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

سيدة اليوم

للوهلة الأولى ظن أنها إحدى هؤلاء العابرين الذين يمرون من هنا كل يوم ليخوضوا مغامرة الذهاب إلى "تحت الكوبرى".

يسيرون متأففين من خطواتهم فى هذا المكان القذر الملئ بالنفايات، ومما تحمله أيديهم من أكياس تحوى ثيابهم القديمة أو بقايا طعام سيئ زائد عن الحاجة.

حيلة سهلة لإلقاء ذنوبهم، وربح حسنات غير مكلفة أبطأت فى خطواتها وهى تقترب منه أكثر...

لا تحمل سوى حقيبة يدها التى _ ومثل باقى ثيابها_ تنتمى لذوق لا يفهمه أبدا لرداءته من وجهة نظره ... ألوان داكنة و باهتة فى نفس الوقت، قماش خالى من أى رسم أو زينة تخفى وراءهم بدانة متوسطة وقوام غير متناسق.

لا تفاصيل مثيرة فى مظهرها سوى الشعر المصبوغ باللون الأصفر، والنظارة الشمسية التى تخفى معظم ملامح وجهها.

ومع هذا فقد استطاع أن يميز لأى فئة تنتمى هذه السيدة.. إذن فهى أحدهم!! عليه الآن أن يمتثل لدور الضحية ويستمع لخطبتها

العصماء التى ستلقيها فى وجهه ليجتر أجوبة محفوظة سلفا على أسئلتها المكررة سلفا.

سيحكى مُكرها مأساته مع زوجة أبيه وستصدقه مثلما يفعل الجميع دون أدنى شك فى كلامه.. "كانت تضربنى" "تعذبنى".. و"أبى أيضا"، "حتى إخوتى"، لا شئ مما سيقوله حقيقى، فهو يملك بيتا تركه بكامل رغبته، ولا يريد العودة إليه.

اتخذ قراره هذا بكامل إرادته، فقد استطاع التمييز رغم سنوات عمره الصغيرة أن الدفء الذى يجده هنا تحت هذا الكوبرى أكبر بكثير من الذى يمنحه إياه بيته، هذه هى الحقيقة الوحيدة من بين كل كلامه فبخلاف إحساسه هذا، لم يحدث شيئا من كل ما يحكيه يدفعه للهرب وحده يعلم أنه كاذب فى حكاياته، وأن زوجه أبيه رغم عدم حبه لها وعدم حبها له إلا أنها لم تكن أبدا بهذا السوء الذى يريد الجميع أن يصدقه. كان يستفزها كثيرا، يتعمد إغاظتها، ويتعمد كذلك إيذاء اخوته الصغار "أبنائها"، كانت تبدو فى أول يوم لها بمنزلهم كقطة مستأنسة تحاول التمسح فيه، وتخفض صوتها فى الحديث معه. ورغم ذلك كرهها.

كرهها منذ اللحظة التى خطت فيها بقدميها إلى مطبخ البيت.. بمجرد أن رآها واقفة فى ذات المكان الذى كانت تعد له أمه فيه كل يوم "بيضة الصباح" التى يحبها .

تخبطت وهى تسحب الأوانى من دولاب المطبخ محاولة أن تعد له ولأبيه إفطارا..

مع كل شئ كان يسقط من يديها الملعقة، علبة الكبريت، وطبقه البلاستيكى الصغير المزين برسمة "بو" _شخصيته الكارتونية المفضلة _ الذى اعتاد أن يفطر فيه كل صباح.

أسقطت كذلك كل فرصة لها معه فى أن يحبها.. لا يعلم ما العلاقة بين إسقاطها لأشياء أمه التى كانت تستعملها كل صباح، وكرهه لها ولا يجد مبررا مقنعا لإساءة تصرفه معها بعد ذلك غير هذا اليوم.. "أسقطت أشياء أمى .. هذه السيدة حتما لا تصلح أن تكون أما". يردد هذا العذر بينه وبين نفسه كل ليلة لمقاومة وصلة نصح أبيه الطويلة حول ضرورة تقبله لأمه الجديدة، وأن يصبح طفلا مطيعا وهادئا كما كانت أمه لتحب أن تراه.

وفى كل مرة يكاد أن يلين رأسه اليابس _كما يصفه والده دائما_.. يأتى ذاك الصوت ليهتف بداخله "كيف تحب السيدة التى أسقطت أشياء أمك فى أول يوم لها بالبيت؟؟"

وسرعان ما يتدفق بركان غضب وبحر لا ينضب من الأفكار الشيطانية فى رأسه فينام ليلته عازما على أن يُريها فى الصباح المزيد من حيله للإنتقام منها على ما فعلته..

انتهت الخطوات البطيئة "لسيدة اليوم".. نعم ففى كل يوم تأتى سيدة جديدة تتشابه ملامحهن أو تكاد تنحصر فى عدة أشكال يحفظهم جميعا. وصلت إلى حيث يجلس خلف برميل الزيت الفارغ القديم .. خلعت نظارتها الشمسية فبدت ملامح وجهها قاسية وعنيفة ومتحفزة

ليس هكذا تكون البداية يا سيدة

اظهرى بعضا من الشفقة .. بعضا من الرقة.. ارسمى آيات رحمة مفتعلة على وجهك.. وابدئى ببراءة متقنة أسئلتك المحفوظة عن اسمى، وأهلى، وعما أرسل بى للعيش فى هذا المكان..

غير أنها فاجأته بجذبها له باشمئزاز من طرف ثوبه المتسخ الممزق.. "إيه اللى انتوا فيه ده" " يعنى عاوز تفهّمنى مفيش جامع قريب حتى تستحمى فيه بدل منظرك ده؟؟".. "يالا تعالى ورايا".

امتثل لأمرها وهو يرتعد خوفا .. إذن حتما هى من مسؤولى الحكومة الذين يهبطون على المكان من آن لآخر.. سحب علبة الجبن البلاستيكية القديمة من برميل الزيت الذى اعتاد أن يخبئ فيه أشيائه الغالية ومضى وراءها مسرعا بنفس إيقاع خطواتها.

يعتبر هذا البرميل خزينته الخاصة .. يضع فيه فراشه الذى ينام عليه كل ليلة ليحميه من حشرات الشارع _ اعتاد كل شئ فى الشارع إلا هى _ مازال خوفا فطريا منها يصيبه بالجنون إذا ما اقتربت منه أى حشرة يتذكر يوم كان يصرخ إذا ما رأى نملة عابرة فى بيتهم فيجرى على أمه يحتمى بها فتنهال هى بكل قوتها على النملة المسكينة تهرسها تماما وتصب عليها سبابا ولعنات لا تفهم منه النملة شيئا حتما، ولكن يفهمه هو رغم سنواته القليلة يفهم نبرة صوت أمه وهى تهدد النملة إذا ما اقتربت منه مرة أخرى فيبتسم ويطمئن.

اعتاد أن يخبئ فيه أيضا هذه العلبة البلاستيكية الصغيرة يضع فيها الأموال التى يستطيع إدخارها من هبات المارة ما لم يتم سرقتها، يدسها داخل البرميل ليشترى بها _ عند الحاجة _ إحساسه بالأمان المفقود فى هذا المكان فيدفع منها الإتاوات لمعتادى الهجوم عليه، أو لمندوبى "الحكومة" الذين يهبطون لسحبه من رقبته مثلما يحدث الآن وتهديده بإلقاءه فى

السجن.

أخذ العلبة ومضى خلفها، يحاول فتح الغطاء الذى يحكم غلقه جيدا، ليخرج النقود ويعطيها "لسيدة اليوم" فترضى عنه وتتركه للشارع _ حتما الشارع أفضل كثيرا من السجن_ هكذا ردد لنفسه ليتجاوز غصة التخلى عن كل ما لديه من أموال لها ببساطة وبطيب خاطر.

داخل سيارتها بدأ فى عد النقود.. فأوقفته صرخة السيدة قائلة:

- "كل دى فلوس؟ أومال عاملين نفسكم غلابة، شيل يا حبيبى خليهملك.. أنا مش بيبع هباب م اللى بتشربوه".

أعاد غلق العلبة منهيا بذلك محاولاته لفهم هذه السيدة، واستسلم لراحة مؤقتة على الكرسى المجاور لها، منقادا لمصيره معها بحكم عادته التى لقنتها له حياة الشوارع فهو لم يعاد يهاب السير فى طرق غير معلومة مع أشخاص مجهولى الهوية دون أن يعرف الهدف.. كاد أن ينام لولا صوت صراخها الذى أيقظه من راحته بعد ١٠ دقائق فقط تقريبا استغرقها الطريق "انزل يالا"

جذبته من يده بعنفها الذى اعتاد عليه الآن ليصعد معها إلى شقتها، حيث تحول وجهها هناك لآخر أكثر براءة.

مسحت بإحدى يديها على شعره، وفتحت بالأخرى الباب لعالم بدت فيه هناك "أمّا" تشبه أمه وكل الأمهات .. هرولت نحو أطفالها تحتضنهم وتوزع عليهم من حقيبتها حلوى وهدايا.

وللحظة كاد أن يحبها ويرمى نفسه بين أحضانها .. لولا نظرات الهلع الممزوجة بالدهشة التى تطل من عيون أطفالها الثلاثة

"روح العب مع اخواتك وانا هحضر لك هدوم نضيفة وأجهز لكم الغدا، مين يحب يعمل خير، ويشارك أخوكم الجديد لبسه؟!"

انهار هدوء الأطفال الثلاثة أمام سؤالها، فانطلقوا ينفون عن أنفسهم أى رغبة فى مساعدة "الأخ" الجديد.

- مش أنا ، ولا أنا ، أنا هدومى مش مقاسه، وأنا معنديش لبس جديد.

ما هذه العائلة المجنونة؟! أم عصبية وأطفال مذعورين ..إذا لم يكن لديهم نية لمنحى شيئاً، فلماذا أتت بى هذه السيدة لهنا؟؟

"لست أنا الذى طرق بابكم أيها المجاذيب ليتسول ثيابكم" كاد يصرخ فى الأطفال المذعورين محاولا استرجاع شقاوته القديمة، وحيله فى إغاظة إخوته الصغار، غير أن السيدة أنهت الحوار سريعا وهى تضغط على أسنانها " طيب اغسل ايدك يا حبيبى عشان تأكل معانا"

"حبيبى" ؟؟!!!

مهما تعاظم تأثير دهشته لسماع كلمة حبيبى من فم هذه المتسلطة التى جذبته من ملابسه عنوة إلى هنا فهو حتما لا يساوى ذلك الإنطباع الذى قذفه أبنائها فى وجهها لينهوا به كل أحلامها بإقناعهم أو إقناعه بطيبتها وكرمها وصدقها الذى يبدو مفاجئا لهم مثله تماماً.

همس لنفسه"يعلم هؤلاءالأطفال حتما سرا لا أعرفه عنها.. صحيح أنها كانت تبدو فى الطريق كأحد وحوش الشارع الذين أقابلهم يوميا.. ولكنها تبدو داخل البيت كأمهم ".

"نعم هى أم بكل تلك المواصفات التى يحملها فى رأسه عن الأمهات، تنظف البيت جيدا وتحضر لأبنائها الطعام، ويبدو من كلامها أنها ماهرة فى تحضير الطعام.

على المائدة المستطيلة جلس هو وبجواره الأبناء الثلاثة لتناول الطعام لم يكن الطعام شهيا بأى حال ولا حتى مرتباً جيداً...

أكسبه الشارع خبرة هائلة فى تذوق كل أنواع الطعام مكنته من تقييم طعامها مع أول ملعقة تناولها.

يفتقد لمهارة وإتقان أطعمة المحلات، كما يفتقد أيضا لسخونة ورائحة طعام البيوت.

وكعادتهم فى كل يوم وكل طعام، اشتعل فجأة شجار الأشقاء الثلاثة وارتفع صوتهم محدثين ضجة غطت تماما على صوت نحيب السيدة التى وقفت تبكى وحيدة فى المطبخ، بعد شعورها بفشل خطتها لإثبات برائتها أمام أطفالها الذين اتهموها بالقسوة وجفاء القلب... لا تعرف كيف خرجت كلمات كبيرة كهذه من فم صغارِ كهؤلاء... كانت تتوقع منهم كلمات بسيطة عفوية تشبه سنوات عمرهم القليلة... أو تعليقا يشبه برائتهم في تقييم أمورهم الصغيرة.

ليتها كانت تعلم شيئا عن مقدار النضج الذى وصل إليه أبنائها دون علمها... ما كانت بادرت بتنفيذ ذلك الاقتراح السخيف الذى قرأته على "الفيسبوك" فى هذا اليوم بأن تبادر كأم بسؤال أطفالها عن رأيهم فيها ببراءة حقيقية هذه المرة سألت ... وبذكاء وحنكة أجابوها بقائمة نقد لاذع للعصبية والقسوة والجفاء الذين صاروا جزءا من تركيبتها.

مسحت دموعها وخرجت لتستكمل المشهد الذى رتبته ظنا منها بتغيير رأى أطفالها فيها، ستستطيع إقناعهم الآن بأن عصبيتها هى نتاج تصرفاتهم السيئة لا أكثر .. والدليل هذا الطفل المسالم الذى يجلس معهم، ينفذ أوامرها بكل هدوء فتبادله هى بحب واحتواء ومعاملة رقيقة. عادت من أفكارها على صوت "الأخ" الجديد يستغيث بها لتنقذه من براثن الأشقياء الثلاثة.

خرجت إلى صالة الطعام لتفاجأ ببقايا الطعام تملأ الأرض والطاولة والكراسى كجزء من آثار المعركة الطاحنة الدائرة بين صغارها الثلاثة والضيف الذى بدا مشتاقا لمعارك بيت أبيه وإخوته الصغار، فصار يقذفهم بالطعام متحمسا وسعيدا، ويصرخ مناديا عليها فى ذات الوقت كما لو كانت أمه فعلا.

دوى صوتها الجهورى قاطعا على الجميع متعتهم بالشجار، فتوقف الأطفال الثلاثة وعادوا لمقاعدهم مسرعين محاولين لملمة بقايا الطعام التى غطت كل شئ..

أما هو فنظر إليها بوجه يملأه الفزع وهى تواصل الصراخ الذى أعاد لها وجهها القاسى العنيف المتحفز ذاته الذى قابلته به فى المرة الأولى، ثم

تحرك بظهره للخلف مسرعا فى اتجاه باب الشقة الذى كان لحسن الحظ مازال مفتوحا

خرج مهرولاً، يتمتم بصوت لا يكاد هو نفسه أن يسمعه:

ليست هكذا تكون الأمهات.

ليست هكذا تكون الأمهات.

ليست هكذا تكون الأمهات.

الرسالة الخامسة

عزيزتى "زهرة البنفسج"

يا تلك الوردة الحزينة التى كتب لها القدر أن تشهد النهاية المؤلمة

يحدث أحيانا أن يكون الأمر أكبر منا ومن قوة احتمالنا المتواضعة كبشر

ولهذا لا أستطيع أن أقول لك سوى أنى أحبك

إليك هذه القصة

أحبك مجددا

ن.س

حتى تكتمل جنتى

إليه

إلى المحارب الذى أشعل بداخلى المعركة، ثم مضى

أنا مدينة لك بالشكر، مدينة لك بحياتى الجديدة

بكل ما سأراه فى غدي، بالأحلام التى ستتحقق، وبكل هذه الثقة التى نبتت _ مؤخرا فقط_ بداخلى بأن أحلامى ستتحقق.

لأجلك.. أحمل اليوم مشعلا أنير به الدرب وأمضى بكل قوة، وينبع من داخلى نورا يعادل نور الأرض كلها يضئ دروب الروح ومجاهلها

كم تهت مرات ومرات، وكم تخبطت فى عتمة روحى.. وضللت الطريق و الهدف.

حتى أتيت أنت ..كان مجيئك حدثا استثنائيا كتذكرة يانصيب ربحها صبى ظل يجول هائما يرعى الأغنام ويسقيها _ غير عابئ برعاية روحه التائهة وسقياها.

ولأن البعض _ وأنت منهم_ يمرون فى حياتنا لا كأشخاص.. ولكن كلمحة برق تضرب قلوبنا وتصيبها بصاعقة توقظها وتنعشها كجهاز

صدمة كهربائى لمريض بدا للجميع وقد فارق الحياة ولا أمل هناك.. أعدت النبض وأعدت معه هذ الجسد المستسلم لمصيره ليقاوم ويتشبث بالحياة..

ظهرت كمريم العذراء... كمعجزة آتية من رب السماء تشفى جرحا وتطفئ ناراً، وكفلاحى بلاد طيبة القديمة جلست بجوارى ها هنا تحرث أرضى وتبذرها وترويها فأنبت فيّ ذاك الثمر الحلو، صرت من أثر يديك اطرح رطبا، أهدى للعالم مذاقا حلوا أسُد به جوع المتلهفين لغذاء الروح

أنا التى كنت أداوى شقوق روحى الجافة بمياة البحر المالحة فلا أطرح غير صبارا مرا يفرّ منه أقرب المقربون منى، صرت ابتسم للعابرين في طريقى، فأنا أراهم اليوم بعينيك.

أدعو لمن يؤذوننى.. أدعو لهم من قلبى بصدق.. فبداخل قلبى يسكن صوتك، وصوتك لا يخرج من داخلى إلا دعاءا مباركا وسلاما على كل من فى الأرض.

أهدتك إلىّ الصدفة.. أم جئتنى قاصداً باحثا عن سماء تسع شعاع الحب الصادر من عينيك!

لماذا كان اللقاء فى هذا المكان الذى طالما أصابنى بالجنون؟!. كل يوم كنت أذهب فى طريقى هذا أشكو كل خطوة فيه لصديقتها التى تليها،

فتعاتب قدمىّ بعضهما على السير اليومى فى ذات طريق "الملل والكلل" كما أطلقت عليه دائماً.

تلك الخطى الكئيبة.. كم أصبحت أحبها لأجلك .. أعدّها يوميا وأدللها بكل نغمات الحب التى تنطلق من لسانى وأنا أسير

أغنى لكل خطوة منها أغنيتها المفضلة، كما أصبحت أدلل قدمى التى تذهب بى إليك.. أرفعها وأهبط بها كأم تهدهد طفلها بين يديها ليرتاح..

لماذا كان اللقاء الأول عاصفا؟ .. أخرجت فيك كتلة غضبى كما أفعل بالجميع كل صباح..

ألعن تلك اللحظات التى بخلت على نفسى بك فيها.. كان بإمكانى أن أزيد رصيد سعادتى معك الآن خمس عشر دقيقة على الأقل.

هدأت بعدها على غير عادتى أمام سكونك واستسلامك وابتسامتك التى ما فارقت وجهك رغم صراخى المتواصل.. ونظرتك الحنونة في عينى.

لا أدرى أحدا قبلك نظر إلىّ فى عينىّ .

فى عينىّ فقط.

أعرف أنى جميلة .. أنى أجملهن هنا، الجميع يتابعننى بنظراتهم أينما ذهبت.. وربما هذا ما يثير غضبي، لا أريد أن أسمح لهم بذلك.

يؤلمنى أن يعتبرنى الجميع وليمة شهية يتناولونها على موائدهم هكذا بشكل مجانى دون استئذان منى، فأعاقبهم بسوء التصرف.

"جميله لكن عنيدة ومتسلطة" .. دائما ما كنت أسمع هذه العبارة تتكرر من خلفي، هل تعلم كم أتقن الآن ممارسة "لعبة الاحتواء" _ التى علمتنى إياها _ لأعدائي وأصدقائي على حد سواء؟!

أتعلم أن تلميذتك التى ربيتها فى كنفك على طهارة اللسان والقلب اللذان كانا دائما ما يميزانك قد صارت وبفضلك صديقة الجميع وأخت الجميع وابنة الجميع؟! أتعلم أن لا أحد الآن يجرؤ على إلتهامى عنوة، فأنا أحيط كيانى الهش بورق السلوفان الذى أهديتنى إياه؛ "هالة الحب تلك التى رسمتها بيديك من حولى" لتحيطنى وترعانى فى غيابك؟!

" ابدئى غيرك بما تحبى أن يهديكى إياه.. وستفاجئك النتيجة"

فاجئتنى فعلا نصائحك حين طبقتها، لقد أصبح فى إمكانى أن أحتوى الكون بكل مشاكسيه، أحب الكبار المتصلبين الرأى دائما.. و أحب الأطفال المزعجين.

أضحك للجميع وأنظر فى عيون الكل نفس نظرتك التى خطفتنى من غضبى وجنونى وذهبت بى إلى جزيرة طهرك ونقائك وروحك السمحة الحانية دائماً.

هل تدرى أن لقيانا هناك فى السماء سيكون عيدا لأهل الجنة.

فهكذا يلتقى الطيبون فيأتي لقائهم فرحاً غامراً، وعيداً لمن حولهم

آآه... يا لرحمة ربى التى أهدتك يوما إليّ.. فأصبحت أرفق اسمى باسمك فى سجل الطيبين والأبرار.

كنت هالكة حتما لو لم ألتقيك

لماذا رحلت؟ لماذا أمثالك دائما ما يرحلون؟

فبكل أسف أمثالك عادة ما يرحلون

يتركون بذورهم تكبر بداخلنا ويرحلون دون انتظار جنى الثمار التى زرعوها، لن تحصد معى ما زرعته فىّ.

يعرف البشر جميعهم قصصا لأشخاص يشبهونك.

دائما هم كاملى الأوصاف، ملائكة متنكرة فى صورة بشر، يهبطون على غير موعد فى حياة أحدهم على هذا الكوكب الشقى لينيروا عتمة روحه ويبدلونه من حال إلى حال..

ثم يرحلون

كانت خطواتك متعجلة، تنتقل بى من خطوة تلو الأخرى.. وكأن الوقت يطاردك، وكنت أضجر أحيانا من استعجالك لي.

تقول هيا.. لا تترددى.. لا تخافى.

فأقول لك

مهلا يا صديقي.

أخرجتنى للتو من تحت أنقاض حطام حياتى الماضية، فأعطنى بعض الوقت لأنفض عن جسدى تراب معاركى القديمة، وأعيد تصفيف شعرى.

اترك لى فرصه لأنظر فى مرآتى لأتأكد أننى مازلت أحمل تلك الملامح الجميلة التى أتت بك إلى هنا، وخذ بيدى لا تتركنى ألهث خلفك.

قلت لى ستمرين بعدي..

لم أصدقك..

حتى رأيت نفيسى أعبر بحارا وأنهارا وجبالا ووديانا .. تاركة من خلفى تلك الروح المملة والملولة التى لازمتنى طوال عمرى.. وجدتنى أطير مرة، وأغوص مرة، وأعدو بسرعة مهر عربى أصيل مرات ومرات.

حتى خلعت عن جلدى ثوب تلك الأنثى المهووسة بجمالها، المريضة بالاعتناء المفرط بتفاصيل جسدها المرعبة، والذى لطالما التصق بى حد الاختناق..

الآن وأنا أقف بكل محفل احتفل بنجاح يدوى، وطموح يتجسد، وبطولات تتكرر فى سجل حياتى اليوم بشكل عادي.

التفت ورائى بكل لحظة أدعوك لتشرح معى لتلك الجموع المحتشدة أمامى كيف صارت معجزتك حقيقة؟

كيف تحققت نبوءتك.. كيف حولتنى لحلم حلمته وحققته أنت

أرفع يدى لأشير نحوك لأقول لهم جميعا ها هو صاحب الفضل، رب النبوءة، وصاحب المعجزة

ولكنى لا أجدك..

فأرد بصوت مكسور على هذا الجمع " شكرا لكم"، غير أن من يستحق الشكر _ وحده_ ليس هنا

أعود مسرعة من كل طريق أسير فيه مهما كانت خطواته مغرية حتى أختلى بخيالك فى ظلام غرفتى

أنتظرك تأتينى ليلا؛ وأشعر بلمستك الحانية على كتفى وأنا أبكى.

لا تغادرنى رعشة لمستك حتى تتوقف دموعى، وأهدأ، وأروح فى نوم عميق _عامدة متعمدة_ لأتيح لعقلى أن يسحبنى جسدا وقلبا معه إلى هناك حيث ألتقيك حلما ناعما كوسادة قطنية.

أرى ابتسامتك تعلو وجهك فخرا بى فأسعد أخيرا بما حققته وأشعر بلذة كل شئ .. وأعلم بذلك أنى أسير فى الطريق الصحيح إليك

اسمع صوتك يهمس لى اقطفى ثمرا شهيا، احصدى واجنى ما غرسناه سوياً

ثم تقول لى "افرحي" ... "فافرح"

ولكنى أضيف عليك.

ولكن ليس ها هنا يا حبيبى سأفرح.. فأنا لم أعد أعبأ بمكاسب الدنيا وثمارها ..لم تعد تعنينى الآن .. لا يهمنى منها سوى أن أقترب لمراتب القديسين والشهداء بأى عمل صالح يشفع لى حتى يرزقنى الله يوما مكانا عاليا بجوارك .

أطل عليك منه فتكتمل جنتي.

الرسالة السادسة

عزيزتى "غارديا"

نحن لا نتعلم كل شئ فى الصغر

علينا أن نواصل الاستفادة من دروس الحياة حتى آخر نفس

إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

إمرأة مثلي

سأساعده، ولم لا؟

جائني مهزوماً بعد معركته الطويلة هناك على الجانب الآخر، وبعد أن انتصرت أنا في الحرب التي تركني وحدي فيها أواجه الدنيا بطفلينا الذي يعرف بالكاد اسميهما.

حتى أبنائه يرفضون أن أساعده، يريدون مني أن أستغل الموقف وأنتقم منه، أستطيع وبكل سهولة أن أتشفي برؤيته مذلولا لا يملك ثمن علاجه من أمراضه الكثيرة التي أصابته، لا يقو على رفع عينه في وجهي ..

نفس العين التي رمقتني بنظرة نكران وتخلي وكأني لم آت من رحمه.

نعم للرجال أيضا أرحاماً.

وإلا أين تختبأ إحدانا بعد أن تترك بيت والديها مستغنية عن حنان أمها ورعاية أبيها السابقين؟! نرى في الرجال أرحاماً فنعيد تكوير أنفسنا كأجنة بداخلهم وننتظر أن يقدموا لنا الرعاية اللازمة.

غير أن الرجال لا يحبون ممارسة "الأمومة" يتقبلونها لبعض الوقت ثم بلحظة يضيق كل منهم بحمل هذه الأنثى متضخمة الحجم، عديمة الفائدة فيلفظها قاطعا الحبل السري الذي يربطه بها.

إن أول لقمة عليكي تدبيرها لنفسك تبدو صعبة كمرارة الفطام.

تبكين كثيرا مثلما فعلت، ثم تعتادين تذوق ما تقدمه لكي الحياة، ولقد أتحفتني الحياة بمائدة عامرة من الصعاب المعدّة لكل امرأة مثلي

كنت أحلم دائما بتقديم فرصا أفضل لأبنائي، لابنتي تحديدا

لم أكن أريد أن أراها يوما بطيئة الفهم مثلي، ولكن يبدو أني أمثل قالبا محببا للحياة وسهل الاستعمال تصب فيه المواليد الجدد لتعيد إفراز هذه النوعية من محدودات الحظ فى الشكل والتعليم والنجاح.

خرجت ابنتي مثلي" بتعليم متوسط _نسميه كذلك منعا للحرج _ ولكنها بالكاد تقرأ وتكتب.

عوّض ابني خيبتي قليلا بالتحاقه بكلية الآداب.

ظللنا نردد كثيرا أنا وهو كل أدعية السماء والأرض ليلتحق بالهندسة كأبيه ولكن هكذا جرت الأمور، أنهى دراسته بسهولة ولكن بدون تفوق

ملحوظ، والفائدة الوحيدة لظروفنا أنه ليس مضطرا لقضاء أعواما أخرى في تأدية الخدمة العسكرية، يستطيع النزول للعمل الآن ومساعدتي على الأقل في تدبير أمر زيجة أخته المتعجلة.

حكيت لها ما فيه الكفاية عن معاناتي مع أبيها ولكنها تصر على الزواج بأسرع وقت، لديها قناعة عجيبة لا أعلم من أين أتت بها وهي أن بإمكانها إدارة شئون أسرتها الجديدة بنجاح.

استطعنا أنا وأخيها تدبير الأمر وتحقيق رغبتها. أذهلتني في نجاحها العائلي، يبدو أن موهبتها الوحيدة تتمثل في تأدية دور الزوجة.

هي بخير الآن لا يعيبها سوي إصرارها على تنحيتي جانبا من حياتها وكأنها لا تريد أن تصيبها عدوى فشلي، يؤلمنى اعتبار ابنتي لي مريضة بمرض معد يستوجب النفور مني، ومع ذلك لا أملك إلا أن أكون سعيدة بنجاحها واستقرارها، كما أن طفلها الصغير يخطف عقلي وقلبي فاضطر للتجاوز عن تصرفاتها السخيفة ومحاولاتها المستميتة لإفلاته من بين يدي.

هو أيضا يحبني بجنون، لم يحبني أحد في حياتي مثله لا أمي ولا أبي ولا حتى أبنائي، أعلم لماذا لا يحبني أبنائي؟!

لأنهم يرون أني لم أستطع الحفاظ على أبيهم .. حرمتهم من العيش في رعايته والتمتع بثروته ووضعه الاجتماعي المتميز، لو كنت ماهرة بما يكفي كامرأة لاستطعت جذبه ودفعه للبقاء معي

يعاقبني أبنائي لغبائي الأنثوي

قالتها ابنتي مرة عندما حاولت تقديم النصح لها في أمر يخص علاقتها بزوجها " أنت لا تفهمين شيئا عن التعامل مع الرجال يا ماما"، نعم هذا صحيح، أفلتت أبيهم من يدي، ولم أستطع جذب فأر شوارع من بعده ليتقدم للزواج مني، تؤكد لهم ذلك صور زوجة أبيهم التي يطالعونها بالصدفة عن طريق التلصص على صفحته الشخصيةعبر الإنترنت.

امرأة تمتلك كليهما معا "الأنوثة والدهاء" تحرص كل الحرص على نشر صورها بجواره وهو ملتصق بها لتؤكد للجميع مقدرتها الفائقة في الاحتفاظ برجل مثله مهندس ناجح غني وسيم كل هذا في آن واحد.

يبدو السؤال الوحيد في ذهن أبنائي كلما طالعوا مغامرات أبيهم مع زوجته في أفخم وأغلى الفنادق والنزهات هو لماذا اختارني أنا أمهم بالأساس في بداية حياته.

كان شاباً في بداية حياته وافق على اختيار أمه لابنة صديقة عمرها كزوجة "مضمونة" لرغبته في الاستقرار الأسرى والتفرغ لدراساته العليا ونجاحه المهني، اللذين ما أن تحققا له حتى أفاق على حقيقة احتياجه لأنثي حقيقية تملأ حياته شغفا وجنونا وقد وجدها سريعا فما أكثر المتهافتات علي رجل بمواصفاته، لا يهمهن في ذلك دهس إمرأة مثلي.

يشفق ابني على حالي ولكنه بالتأكيد ليس فخورا بي، عرّفني لخطيبته يوم أتى بها للبيت قائلا هذه هي أمي السيدة البسيطة التي ربتنا، ثم مازحها قائلا صحيح هي ليست تربية عظيمة ولكنها فعلت ما في وسعها

كانت الفتاة لطيفة حقا أسعفتها رقتها وذوقها لترد سريعاً على دعابته بقبلة على خدي لم أحظي بها من قبل.

لا تقل هذا حتماً هي سيدة عظيمة لأنها أنجبتك.

لم أفعل شيئا عظيما في حياتي فعلا سوي إنجاب هذين الشقيين الذين كان عليهما اختيار مصائرهما بنفسيهما للإفلات من لعنة فشلي.

اختارت ابنتي أن تبرع كربة منزل، واختار ابني أن يعتمد في شق طريق حياته العملية على رفقته أولا ثم خطيبته وعائلتها وتحديدا أمها التي يحبها أكثر من أمه كما يقولها دائما بفخر وأمامي في أحيان كثيرة.

ساعدته ماديا، وقدمت له كل الدعم لينجح في عمله معها في مصنع أدوات التجميل الذي تملكه.

ابني شاب ذكي لم يكن ينقصه سوي أم مثلها تضعه على أول الطريق لهذا كله لا يحبني أبنائي كما يجب في مثل هذه الحالات.

أما لماذا لم يحبني أبواي فلا أعلم حقا لماذا كان عليهما تركي مبكرا

لقد كنت ابنتهما الوحيدة صحيح أنهما تركا لي شقتي هذه ودخلا شهريا متواضعا من عمل أبي كموظف كبير، وقطعة أرض تمثل ميراثا معقولا من ناحية أمي وكان هذا كافيا لإعالتي أنا وأبنائي دون أن اضطر للنزول للعمل بعد انفصالي عن زوجي.

عشنا حياة أعلى من حد الكفاف بقليل، ربما كان ينتظر أبنائي مني أن أنزل للعمل لأوفر لهما حياة أفضل ولكني لم أتقن حتى ذلك، جربت مهنا كثيرة ولم أصمد بأي منها، علمتني أمي بعض الحيل في فنون المطبخ ولم يسعفها الوقت لأكثر من هذا، لم يكن هذا كافياً.

كنت أحتاج لأن تعلمني أمي كيف ربطت عقدة حبها في قلب أبي للحد الذي جعله يموت كمدا خلفها بعد أقل من شهر واحد لم يمر يوم منه دون أن يذكرها ويذكر كم يشتاق إليها، كما كنت أحتاج لأبي ليوقف هذا

المتجبر عند حده في إهانتي والاستهتار بشأني والذي انتهى بإرساله ورقة طلاقي على يد محضر رسمي دون أن يكلف خاطره بمراجعة أحد. كما أني كنت ومازلت أحتاجهما حقا لألقي برأسي في حضن أي منهما، أتممت العام الخامس والخمسين ومازلت أشعر بأنى طفلة تفتقد حضن أبويها

كل حزن يصغر إلا حزن اليتم يزيد ويزيد

فكلما كبرنا .. كلما ضعفنا .. وكلما ضعفنا زادت حاجتنا لنعود صغارا نركض إلى حضن أمهاتنا ونحتمي بقوة آبائنا من قسوة الحياة. فوجئت بصوته يأتيني من خلف الباب، فتحت مسرعة.

أوشكت يدي أن تنزع عنه بذلته مثلما كنت أفعل، كما أوشك لساني أن يسأله إذا ما كان يرغب في أن أحضر له طعام الغداء.

لا أعلم ما الذي أوحى له أن يطلب مني المساعدة الآن.

الجميلة سرقت أمواله وهربت بعد أن ضبطته متلبسا بخيانتها مع مساعدته الشابة، انتقمت منه وجردته من كل ممتلكاته بحيلة ذكية، وهو الآن بحاجة ماسة لأن أساعده ببيع قطعة الأرض الوحيدة التي أملكها والتي أبقيتها لحمايتي وأبنائي من تقلبات الزمن.

علل طلبه بأن الأولاد كبروا ولم يعودوا بحاجة للأرض، كما أنه وعدني بأن يعوضهما ويعوضني أنا أيضا عن كل شئ ما أن يستطيع الوقوف على قدميه مرة أخرى.

قفزت في ذهني أسئلة كثيرة كان أهمها هو لماذا لم أستطع أن أفعل مثلها عندما خانني معها؟

تولد بعض النساء بمواهب متعددة ذكاء وجمال و حظ عظيم، بينما تولد الأخريات مثلي.

هاجمني أبنائي بشدة لمجرد أني فتحت له الباب وأعطيته فرصة ليطلب، توعدتني ابنتي بمقاطعتي إن ساعدته، أنا معتادة على ردود أفعالها هذه تجاهي ، ولكن رد ابني هو ما كان مفاجئا و قاسيا جدا بالنسبة لي اكتشفت أنه يضمر غضبا شديدا تجاهى لرفضي بيع قطعة الأرض هذه له ليشارك بثمنها حماته، كنت أظنني أحميه هو وأخته، مررنا بكل شئ صعب ولم أجرؤ يوما على بيعها.

قطعة الأرض هذه هي ظهرنا وسندنا الوحيد في هذه الحياة كما كنت أقول لهما ذلك دائما.

والان أوافق على بيعها من أجل الرجل الذي خانني وتركني معهما نصارع الحياة! بإمكاني أن أنتقم منه .. أن أتشفي برؤيته مذلولاً.

ولكني سأساعده ولم لا؟!

سأحظي أخيرا بفرصتي للإنتقام واسترداده منها، ومن مساعدته الساذجة الأخرى التي رقصت على السلالم في علاقتها معه، سأعيش سعيدة معه بعد أن اثبت له أني كنت المرأة الأحق به من بين كل المتهافتات عليه، ليست العبرة بالشكل سيكتشف ذلك وسيبقى مدينا لي لنهاية عمره، سيعوضني _أنا أصدقه_ عن كل الليالي التي قضيتها وحيدة، أو أنى لن أموت وحيدة متعفنة فى فراشى على الأقل كما تراودنى الكوابيس دائما، وسأمنح هؤلاء الشقيين فرصة أخرى لتذوق حنان الأب الذي لم يعرفاه يوما، وسيشكرانى على ذلك فيما بعد عندما يهدأ غضبهما الحالى، أما حبيبي الصغير فتكفيني سعادته وهو يلمح الشبه العجيب الذي بينه وبين جده، يمتلكا نفس الوسامة ونفس الضحكة الساحرة التي تسرق القلوب.

أنا غبية! تقولون ذلك حتماً.

أستطيع أن أسمعها من هنا، بالعكس... ربما كانت هذه هي أول مرة استخدم فيها ذكائى وأجبر الجميع على الاعتراف بإمرأة مثلي.

الرسالة السابعة

عزيزتى "زهرة القرنفل"

اكسرى هذه المرآة قبل أن تكسرك

ولأساعدك

إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

دارت الأيام سريعا

من يُقَدِّر هذا الجمال ؟!

لا ذرات مرآتها ولا حدقات أعين المحيطين بها تراها كما ترى هى نفسها، يقولون عنها أنها جميلة

.. نعم ..

ولكن فى نظرها هى من وضعوا كلمة (جمال) لم يروها، وإلا لاختاروا لفظاً أقوى وأكثر تعبيراً.

كبرت وهى ترعى جمالها ولا ترعى شيئا آخر غيره ... فقط جمالها.

فما يحتاجه من دهانات ومستحضرات أولى بكل مليم لديها من أى شئ آخر، حتى كان أول الحاقدين عليها وعلى وجهها الفتان هم باقى أعضاء جسمها من معدة وأمعاء وأعضاء داخلية فقد كانت تحرمهم من أجله، ثم تأتى بعد ذلك قائمة طويلة من فتيات العائلة و زميلات الدراسة و الجيران

من لا يغيظه جمالها يغيظه اعتزازها الزائد به، ولكنها لم تكن تضع وزناً لكل هؤلاء، كانت تصادق فتيات وسيدات العائلات الغنية فقط وعن

عمد، ولا تدوم صداقتها مع إحداهن إلا إذا علمت أن لديها أخا أو قريبا يصلح للزواج .. لم يكن ذلك من قلة من يسعون لقربها، بل إنها توقفت عن عَدّ من تقدموا إليها بعد أن أصبحت أسمائهم تختلط فى ذهنها لكثرتهم.

فقط كانت تبحث عن علبة القطيفة المخملية المناسبة لتحفظ فيها اللؤلؤة الثمينة التى هى (شخصها)

ترى نفسها زهرة برية تبحث عمن يقطفها من التربة الطينية الوحلة التى نشأت بها ليضعها فى زهرية كريستال حقيقى تليق بها ... سؤال واحد كان يُحَيِّرها ..

من يُقدّر هذا الجمال؟! ....

كانت تعرف تماماً أنها تملك شيئاً غالياً ، ومن هنا نزلت بنفسها للسوق وطلبت أعلى سعر...

لم تجده هى ولكنه هو الذى وجدها ..

لم يكن قريبا لأى ممن تعرفهن ، وإنما حدث الأمر كالتالى:

استوقفها أحد مُعدِّى البرامج المشهورة للتسجيل فى حلقتهم الجديدة . وافقت..

فما كانت لترفض وتُضيّع على العالم فرصة ذهبية ليروا الجمال "على أصوله" كما قال لها المعد.

وبعد أن قام بتحفيظها ما ستقوم به جاء المذيع الشهير، لاحظت أثناء التصوير نظراته لها ولكنها مع كل اعتزازها بنفسها لم يكن ليبلغ بها الغرور هذا الحد لتتصور أن أشهر مذيع فى التليفزيون، فتى أحلام مصر كلها، يعجب بها ..

ربما المعد أو مساعد المخرج أو حتى المخرج نفسه.

أما ما حدث فقد كان خارج كل توقعاتها..

بمجرد أن توقفت الكاميرا حتى رمى الميكروفون وجرى ورائها..

قال كلاماً كثيراً عن نفسه، ولم يطلب منها غير رقم تليفونها ، ثم وبعد تردد سألها عن اسمها ..

أعطته ما هو أكثر من ذلك ..

الاسم ثنائى وابتسامة تحمل معانى كثيرة قابلة للتأويل ..

سارت مسافة ثلاثة كيلومترات من الموقع الذى قابلت فيه فريق البرنامج حتى بيتها دون أن تشعر بلحظة تعب ... كانت ثقتها بنفسها وبشكلها أعلى ما يمكن أن تسجله مقاييس البشر

أما الآن فقد طارت بها إلى معدلات لم يعرفها إنسان من قبل

إذا كان هناك من كائنات أخرى فى هذا الكون تعرف مشاعر البشر وعلى وجه التحديد مشاعر الزهو و الكبر و الخيلاء فقد صارت مثله

أضافت لفتى أحلامها صفة جديدة وهى أن يكون رجلاً مشهوراً يجعل منها قصة يحكى عنها الجميع، وصلت إلى بيتها لتفاجأ بأربع مكالمات منه فى انتظارها بحجة تفاصيل خاصة بالتصوير ، وبخبر ظهورها فى التليفزيون بطبيعة الحال يسبقها...

لو لم يكن ما حدث قد حدث لشاركتهم فرحتهم "بظهورها فى التليفزيون" و لجعلته قصتها لإغاظة الجيران لشهور قادمة، فهى أول من يفعلها فى حَيِّهم الفقير ...

أما الآن فلم يعد البرنامج كله بالأمر المهم بالنسبة لها ..

رفضت إلحاح الآخرين بأن تعاود الاتصال به فى الرقم الذى تركه، وتجاهلت تخوفاتهم من أن يحذف فقرتها فى البرنامج و تضيع عليها الفرصة.

كانت هادئة .. واثقة .. تعى تماما أن لا داعٍ للجرى وراء حمامك الزاجل الذى دربته، أو كلبك الوفى الذى ربيته، أوحتى حمارك الذى عودته على حملك فى طريقك اليومى، فما زرعته فيه ستعود إليك ثماره، وسيعود إليك سالماً دون جهد.. وقد زرعت بعينيها بذور المحبة فى تجاويف قلبه، ولهذا تركته يعود وحده...

دُهش الجميع وزادت قناعتها هى بنفسها عندما اتصل للمرة الخامسة ... كانت فى ردها عليه تنطق الكلمات وكأنها تدربت عليها مرات من قبل .. ربما من تأثير الأداء أمام الكاميرا الذى تعلمته.

"موافقة .. تقدر تشرفنا .. يوم كذا .. الساعة كذا .."

تم الزواج..

لم تندم لحظة واحدة على ترك دراستها الجامعية بسببه ..فمعه ستعيش حياتها الحقيقية ..

الحياة التى تليق بها كما كانت تقول.. مال و راحة وشهرة ورفاهية..

فاجأها حرصه الشديد على ألا تظهر صورها معه فى أى جرائد حتى صور زفافهما أخفاها عن الإعلام بحجة الحفاظ على حياته الشخصية بعيداً عن المتطفلين، وساعدته صداقاته المتعددة داخل الأوساط الإعلامية فى تحقيق رغبته.

أصابها إحباط شديد لضياع حلمها فى أن تصبح مشهورة... غير أن الخلافات الحقيقية بدأت مع خبوت نجم المذيع اللامع بشكل مفاجئ، فانشغاله بعروسه الجميلة كما قالت الجرائد أثّر على نجاح برنامجه... وحلقة فحلقة بدأت أسهم البرنامج تهبط وينصرف عنه المشاهدين ...

لم يكن يقدم أى برامج أخرى وطال بقائه فى المنزل لتصبح فرص المواجهات العنيفة بينهما مضاعفة...

دارت الأيام سريعاً.. وبعد أقل من سنة انتهى الأمر بالطلاق ..

عادت إلى بيت أهلها.

مكسورة .. مهزوزة... باكية على أحلامها التى ضاعت ...

غير أنها سرعان ما استعادت ثقتها بنفسها عندما عاد طابور العرسان يدق على بابها من جديد وفور انتهاء شهور العِدَّة اختارت من بينهم الأغنى.. لديها الجمال وتعلم أن ما ينقصها هو المال لتكتمل أسطورتها الشخصية ..

رجل أعمال فى حقيقته تاجر غير متعلم، ولكنه ثرياً بما يكفى ليرضى غرورها بالهدايا الثمينة، نسيت الماضى تماما مع ميلاد طفلتها الأولى .. وبدأت تعيش كما كانت لتحب أن تعيش ..

ولكن ... مرة أخرى دارت الأيام سريعاً عليها ...

وأصيب زوجها الثانى بمرض اضطره لينفق معظم ثروته على علاجه بالخارج، بالإضافة لما خسره نتيجة انشغاله عن تجارته فترة طويلة

نجا الزوج من الموت بأعجوبة، وإن كانت صحته لم تعد تحتمل العمل

ضاع كل شئ، ولم يتبق إلا ما يجعلهم بالكاد مستورين لا أكثر.

ولأنها كانت قد أنجبت طفلها الثانى ولا سبيل أمامها للتذمر... قَبِلَت. ليس فقط حياة الفقر التى لم تكن تتخيل أن تكون من نصيبها للأبد، وإنما أيضا إهانات الزوج العاجز التى لم تتخيل أن تسمعها يوماً، يُمعن فى إذلالها حتى يتغلب على شعوره بالنقص أمامها

فى البداية كانت تستغيث بذكريات الأيام الحلوة التى قضتها معه، وبطفليهما، وبأمل صغير كان يراودها فى أن يعود لرشده يوماً ... ولكنه لم يعد، وفى النهاية فاض بها

كانت طريقتها فى الانتقام هى أن تتخلص من جمالها لتحرمه منه

إسراف جنونى فى إلتهام الطعام أصابها حتى صارت أضعاف حجمها القديم .. أهملت مظهرها وتخلت عن "الملابس المستوردة" التى فازت بها من زيجتها الأولى، وأيام "العز" الماضية، بدأت تلبس الجلباب الفضفاض فى البيت ليناسب مشاكل الوزن الجديد التى حاصرت جسمها، وخارجه كانت ترتدي فى الغالب مجرد عباءة سوداء واسعة لتستر بها حجمها الجديد...

لم تعد تخجل من معايرة زوجها الثانى عندما يظهر زوجها الأول فى التليفزيون كما لم تعد تتردد فى أن تبوح له بأمنيتها أن كانت ظلت معه و لم تُطَلق منه.

هو أيضا لا يتردد فى وصفها بأنها " نحس" عليه وعلى زوجها الأول الذى استعاد شهرته كمذيع بعد طلاقهما، بل وأصبح ممثلا ناجحاً

مثل هذه العبارات لا يخلو منها حوارهما اليومى، وهى لا تعد شجاراً ولا تعبر عن غضب أى منهما تجاه الآخر ... فقد تقبل كل منهما حاله من أجل الأولاد وانتهى الأمر

فقط يضايقها أحياناً عندما تنظر فى المرآه فلا ترى ملامح وجهها من كثافة خيوط الهموم التى تحيط به، لا ترى ولو خيطاً بسيطاً يقودها إلى أسطورة جمالها الذى كان.. ولكنك مع ذلك تستطيع أن تلمح انعكاسه فى ابنتها التى تقسم لمن حولها أنها تشبهها تماما فى صغرها رغم إجماع أهل زوجها على شبهها الشديد ب"عمتها".

كما أن لا أحد من سكان الحى الشعبى الذى انتقلوا إليه يصدق أنها كانت زوجة للمذيع و الممثل المشهور، يعتبرونها مبالغة أخرى من مبالغاتها التى لا تنتهى عن الأيام الخوالى أو حكايات ألف ليلة و ليلة _ كما يسمونها_

اتصلت ذات مرة بإحدى الجرائد فى محاولة لبيع التفاصيل الخاصة والمثيرة عن النجم المشهور التى تملكها كونها زوجته الأولى، ذهبت إليهم

بجلبابها البلدى فنظر المحرر إليها نظرة هى الأولى من نوعها فى حياتها ولم يصدق شيئا مما قالته، ولم تصدق هى أيضا أن الحال وصل بها إلى هذا الحد.

ظلت تشترى الجريدة لأسابيع متتالية أملا فى أن تجد صورتها تزين الصفحة الأولى، ثم يئست كما يئست قبل ذلك من كل حياتها .. يئست من زوجها ويئست من انصلاح الحال وظروف المعيشة ويئست من أن يعود إليها جمالها رغم أنها تحاول أحيانا فتبدأ نظاما غذائيا وراء الآخر ثم تيأس أيضا فى النهاية...

لا تعرف من تشكو.. ولمن تشكو ... ومن كان السبب ...

هل هى لعنة جمالها الزائد أم قدرها السيء، أم أنها حقا "نحس" كما يقول لها زوجها..

تصادف زميلاتها اللاتى كن يحلمن يوماً بأن ينلن "ربع" حظها فتتحسر على حالها بعد أن صارت تتمنى مكان أقلهن حالا

تعود لتسأل .. لماذا دارت الأيام سريعا، ولماذا انقلبت كل الآيات عليها هكذا؟!

الرسالة الثامنة

عزيزتى "شقائق النعمان"

مهما قالوا لنا مرارا ليست السعادة فى المال وحده لا نصدق

حتى نخسر ما هو أغلى من ذلك فنتعلم بعد فوات الأوان

لا تصدقينى أيضا؟

إذن إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

كنا صديقات

كنا صديقات.

كان ذلك فى وقت كانت تحمل فيه هذه الكلمة معانٍ كثيرة، تدخلت التجارة بيننا، وأفسد المال كل طيب فى علاقتنا، ولم يبق إلا ذكرى أننا كنا يوماً صديقات.

ليتها دامت

فلا أسوأ من أن تكون بلا صديق، تود أن تحكى فتلتفت حولك فلا تجد أذناً صاغية

لا أقصد تلك الحكايات المثيرة و المهمة التى تتصيدها الآذان، ولكن أقصد أن تحكى، أن تقول مجرد كلام فارغ، ويجوز أن يكون مكرراً قلته فى مرات كثيرة سابقة

أن تحكى دون أن تُسكِتَك نظرات الآخرين قبل أن تنطق ألسنتهم بعبارات مثل "ساذجة" "قديمة".. لم أعرف أن " الحَكى" نعمة إلا بعد أن خسرتها.. كنت أول من تنام فينا، وكان يضايقنى صوتها العالى يملأ أرجاء

الغرفة التى نتقاسمها فى سكن الطالبات، لم تكونا تنتهيا من حكاياتهما قبل الصباح

كنت أغفو على حواراتهما، استيقظ من غفوتى على رنة ضحكة إحداهما ثم أعود لنومى على صوت حكايات الأخرى تعاتبنى لغيابى ونومى

تمدحنى .. تسبُنى

لا يهم

المهم أن صوتيهما كان يملأ رأسى فلا يدع بها مجالاً للتفكير فى هم أو حزن أو ألم

كم أفتقدهما!

لو كنت أعلم أن ما حدث سيحدث لسجلت حواراتهما الليلية لأتعاطاها كمهدئ يوميا قبل النوم..

آآآه

كم صعب علىَّ أن أعترف أن الاتصال التليفونى بأى منهما صار ثقيلاً... ويحتاج إلى أسباب قوية تبرره لدى الطرف الآخر.. نحن الذين ما كان يسكتنا إلا استغاثات الجيران من ضجيج حوارنا.. صار أول سؤال

نتبادله "خيرا؟ ماذا حدث؟" الغريب أن أى منا لم تواتيها الجرأة لتقطع علاقتها صراحة بالأخرتين..

ما زالت كل منا تمسك بشعرة معاوية التى تربطنا، والتى ما عاد يربطنا غيرها، لا أعلم هل هو أمل صغير يراودنا بأن تعود "أيام زمان"، أم خوف من أن ننفصل عن بعضنا رسميا فلا يتعرف علينا الناس

فلأكثر من ثلاثة عقود كانت كلا منا تُعرَف بأنها "فلانة" صديقة "فلانة وفلانة" و"فلانة وفلانة" أنفسهما كانا يُعرَفان بأنهما صديقاتها.. لم يكن يقول الناس عنا أكثر من ذلك وكان هذا وصفا كافيا، فقد كانت صداقتنا هى أهم ما يُمَيزنا

لا أصدق أنى كنت السبب

لا أحد منهما اتهمنى بذلك، فما زلنا نحافظ كذلك على طهارة ألسنتنا من العيب فى بعضنا، ولكنى أراها فى عينيها دون أن تقولاها.. وأراها فى عينى قبلها كلما نظرت فى المرآة، فقد كنت صاحبة اقتراح أن نتشارك معا فى مشروع تجارى بعد التخرج، كما كنت دائما أكثر اهتماما منهما بالدراسة ثم بالعمل ثم بالربح، أما هما فكانتا أكثر اهتماما ببعضهما و بى، ولذا سلَّما جبينيهما لسكِّينى لأُقطِّعهما بيدى وأُطعم لحمهما "لحيتان السوق"

كنت الوحيدة فيهن التى تملك خبرة فى مجال التجارة بحكم عمل والدى فيها وامتلاكه لشركةأعرف خفايا العمل الحر وقد ولدت بين أصدقاء أبى أسمع نقاشاتهم أكثر من أغانى الطفولة وحكاياتها، لم يكن ينقصنى شيئا سوى شركاء برأس المال، ولم يكن لينقذنى من استعادة سقوط أبى المدوى فى عالم التجارة وخسارة أمواله سوى صديقتين مثليهما على أتم استعداد لدفع كل ما يملكانه من أجلى .. بلا قيد سلمانى كل ما استطاعا تدبيره من مال عن طريق أسرتيهما ومعارفهما لأستعيد مجدى ومجد أسرتى من جديد

ليتنى مت قبل أن آخذ منهما مليما واحدا

ولكن كيف لنا بمرآة تعكس ما يأتينا جريا من وراءنا ونحن تحت تأثير متعة القيادة الجنونيةوقد كنت فى بداية العمر أرى أمامى الثروة والنجاح ومواصلة نجاحات أبى وخلفى صديقتىّ عُمرى اللتين مع خالص حبى لهما لا تعرفان سوى دراسة المحاسبة الغبية التى نتشاركها والتى لطالما تشدقت بتفوقى عليهما فيها

لم يكن ممكنا ألا أنظر للأمام، لم يكن ممكنا أن أنظر للخلف

خسرا

ربما ليس بسببى ... ربما كان السبب عدم إتقانهما لفنون التجارة

لا يهم السبب المهم النتيجة

و النتيجة هى أن بدأت الخلافات تظهر، ليس بينى و بينها.

وإنما بينها وبين بعضها، فكل خسارة كانت بمثابة ثقل يضغط على عروق المحبة بينها ويصيبها بتصلب الشرايين.. ضاع المال وانهارت العلاقة بينها

أما أنا فربحت

لم تُحَمّلنى أى منها مسئولية الخسارة التى أصابتها..

نعم..

غير أنها لم يستطيعا أن يغفرا لى أنى كنت من وضعها على هذا الطريق.. كما لم أغفر أنا كذلك لنفسى

ومن يومها.. ونحن نتحاشى النظر لبعضنا نخشى التقاء عيوننا، ونأمل ألا يأتى اليوم الذى تفتح فيه إحدانا هذا الموضوع.. فمن يومها ونحن لم نتعاتب كما لم نعد نفعل أشياء كثيرة

لم نعد نتزاور، لم نعد نخرج سويا، ولم نعد نتشارك اللحظات الخاصة لكل منا، لا أصدق أنى لم أكن أول من يعلم بقصة حب كل منها، كيف أحضر حفلتى زفافها ولا يكون مسموحا لى الوقوف خلف ذيل فستان كل منها لأتابع عن كثب كيف تبدو كل فتلة خيط منه وأحرص على أن تكون

فى أحلى صورة لها، أتعرف على أطفالها فقط عندما يكون مسموحا مشاركة صورهم على صفحات التواصل الاجتماعى

والأهم من كل ذلك أننا لم نعد نحكى

تلك الحكايات التى لا تعنى أحد غيرنا

جربت أن أقولها لأشخاص آخرين فوجدت فيهم استغرابا أن كيف أُصغِّر من نفسى لأحكى مثل هذه الحكايات، لماذا إذن كنا نغرق فى بحور الضحك عليها، ولماذا لم نعد نضحك على غيرها

تصورت عندما فصلت مال كل منا عن الأخرى بعد نجاح فكرة المشروع الذى أسسته، وتركت لكل واحدة مسئولية إدارة أموالها أنى أحمى بذلك صداقتنا.. ولكنهما ولحرصهما أكثر منى على هذه الصداقة قررا دمج رأسيالهما معا، وأن يشتركا معا فى إدارة نصيبيهما..

كما كنا نتشارك دائما الثياب والأحذية و أدوات الزينة التى كانت دائما ما تختلط فلا نعرف أينا صاحبتها الحقيقية، لم تكن الخسارة المادية هى السبب، فلم يكن أبدا المال على قائمة اهتماماتنا، وإنما هى (أزمة ثقة) أصابت كل منا تجاه الأخرى..

لقد أكلت سوسة الشك عمود صداقتنا حتى جذوره، لم تُبق منه إلا على تلك القشرة الخارجية .. استعصت عليها لصلابتها!!!...

ولكن..

كيف ظنت أى منا أن الأخرى يمكن أن تتعمد إلحاق الأذى أو الخسارة بها؟!، ولماذا لم تستطع أيينا اتخاذ القرار؟! ذلك القرار الوحيد الذى كان يمكن أن يحافظ علينا بأن يحفظنا لبعضنا، القرار بأن نفض هذه التجارة،أن نترك كل شئ من أجل أن نحتفظ بصداقتنا.. مرة أخرى كنت أنا السبب، لم أكن أدرى يوم أقسمت معهم ألا نُضَحى بصداقتنا لأى سبب لم أكن أدرى، ولم تكونا تدريان هما أيضا أنه عندما يأتيك الطوفان "فالصديق" هو آخر من يمكن أن تمسك به، فقبله تأتى عائلتك وأبنائك وزوجتك

والغريب أنك بعد أن تدفع أصدقائك ثمناً لهؤلاء لن تجد أى منهم على استعداد لأن يبيعك نظرة اهتمام غير مزيفة لموضوع يهمك أو ضحكة غير صفراء على نكتة تُضحكك

كان نجاحى مدويا للحد الذى دفعهما للاستمرار بجنون لملاحقتى،لا أدرى أهى رغبتهما فى أن نظل ثلاثتنا سويا، والحفاظ على العهد الذى قطعناه يوما بألا نفترق، أم هى رياح الغيرة التى هبت لأول مرة ولفحت وجوهنا بحرارة أذابت البراءة التى كانت تميزنا

مضيت أنا للأمام، وتراجعتا هما الاثنتين للخلف

تظنان أنهما وحدهما خسرا.. تقاطعا لتسببهما لبعضهما فى الخسارة.. وقاطعانى لأنى ربحت.

ولكنى لا لم أربح

فلقد بعت صديقتين كاملتين، ولم أستطع أن أشترى بثمنهما مجرد "أذن"

"أذن" تسمعنى وأنا أحكى.

الرسالة التاسعة

عزيزتى "زهرة الكاميليا"

بعض الزهور لا تحتاج لكثير من الضوء لتزهر

وفيما حاجتنا للضوء المبهر إن كان الله أهدانا العوض؟

ذاك الذى إن جارت علينا الدنيا كلها بقى هو "حنونا" دائما

إليك هذه القصة

أحبك ،،

ن.س

كشكليوز

"غيرانة من عروسة يا كشكليوز؟؟!!!"

"من العروسة ولا من الجيران ولا من القرايب"

" كشكليوز ملّت وزهقت "

قالت كلماتها لتنهى بها كل شئ

الجدل الدائر بينهما وكذلك فكرة عودتها للعمل

لم يعد ممكنا أن تستمر فى إضحاك الآخرين على حالها

اختار هذا الحى المتوسط بعد دراسة وخبرة فى التجوال بين أحياء القاهرة، من بين تلك الأحياء التى لا يساوى الضحك فيها أن يدفع أهلها أموالا من أجله، وتلك التى يدفع قاطنوها أكثر ولكنهم يضحكون أقل حيث لم يعودوا يستطيعون الضحك أكثر من ذلك

ولهذا يكون ضحكهم أقل بكثير لدرجة لا تمكنه أن يشفع له عند مرور ورديات الشرطة فيجد نفسه وحيدا يواجه إحساس الخذلان من الذين كانوا يضحكون بفضله منذ قليل متناسين كيف أهداهم هذه الضحكة، حيث يتذكرون فقط أنه لا يليق بهم وجود الأراجوز بينهم

أما هنا فيضحك الناس إلى درجة أنهم يدافعون بإخلاص حقيقى عن بقاء الضحكة التى يمنحهم إياها بينهم

بدءا من تدبير أمر المكان الذى تبيت فيه عربته، والتغطية على جريمة سرقة خط الكهرباء الذى يحتاج إليه كثيرا لتشغيل مكبر الصوت، والعطايا المتنوعة من ملابس ومأكولات ونقدية هى كل دخله من هذا العرض المتكرر الذى لا يمل هو تقديمه ولايمل الناس من مشاهدته.

حتى هى كشكليوز كانت تستمتع كثيرا بمشاركته العرض إلى أن جاء هذا اليوم

أول شئ قاله لها فى أول يوم خرجت للعمل معه

"الناس هنا عاديين يا كشكليوز" "متهابيش منهم"

لا تهاب كشكليوز أحدا

بل تحب ذاك الأثر السحرى الذى تراه على الشفاه المفتوحة لجميع من يأتون لمشاهدتها

نظرة فرح ممزوج بدهشة وانبهار تجعلها تشعر بقيمتها العالية

هى التى لم تصنع شيئا فارقا فى حياتها

"لا علام ولا حلاوة"

هكذا وصفتها أم زوجها فى أول يوم تقدم الأراجوز لخطبتها

"بس طيبة وبنت حلال وهتعينه ع المعيشة، فالأراجوز حياته صعبة، كل يوم فى مكان، وفى النهاية الحالة مش أد كدة

ومينفعش معاه غير واحدة "غلبانة"

وافقت كشكليوز "نعمة" كان هذا اسمها الذى نسيته منذ أصبحت زوجة الأراجوز

يحب هو أن يناديها بكشكليوز

وتحب هى هذا الاسم

كما أحبت الترحال.. وأحبت لعب دورها فى العرض

حتى عصاه التى تنهال على جسدها الكرتونى فى نهاية كل مرة تحبها

أثار انبهارها وهى ابنة الـ١٨ عشر ربيعا صوت الضحكات و التصفيق الحار فى نهاية فقرتها، ويسعدها كثيرا محاولات البعض البريئة وخاصة الأطفال منهم للدفاع عنها وحمايتها من عصا الأراجوز فى نهاية كل عرض

أحبت الجمهور لدرجة أنها تصورت نفسها فعلا "واحدة منهم"، وتصورتهم يبادلونها جميعهم نفس ذات المحبة الخالصة

ولكن

اليوم كشكليوز ثائرة وغاضبة لا تريد الخروج لتقديم العرض كما تفعل كل يوم

كل هذا لأجل علبة "بودرة" جديدة اشتراها محمد للعروسة ليدراى بها عنها آثار الزمن..

"علبة البودرة اللى نفسى فيها بقالى سنين بطلبها منك تجبها للعروسة وأنى لأ"

حاول الأراجوز إقناعها كثيرا دون جدوى أن العروسة هى رأسمالهما وأنها .. هى كشكليوز جميلة لا حاجة لها للبودرة، ثم بدأ فى استخدام سلطاته كزوج عليها التى يبدو أنها فقدت جدواها من زمن طويل لم يحاول فيه اللجوء إليها ولكنه فشل

وفى النهاية كان الحل الوحيد هو أن يبدأ العرض وحده.

ثم قرر أن يستعين بصيحات المشاهدين للنداء على كشكليوز لتخرج.. لا شئ تضعف أمامه مثل نداءات الجماهير عليها لتخرج مهما تمنعت عليه هو ومهما كان خلافها معه.. إلا أنها تحب صوت الحضور الكبير وهو يناديها " انتى فين يا كشلكيوز" اطلعى بأة"

نجحت الخطة وامتثلت كشكليوز لأمر الجمهور

خرجت حزينة باكية

يظهر هذا جليا على جسد العروسة رغم نصف علبه البودرة الذى أفرغه الأراجوز فوق وجهها

حاول الأراجوز إضحاكها

فلم يجد غير الدموع

التى راحت كشلكيوز تنقلها بيدها المبللة من وجهها الحقيقى لوجه العروسة

انتقاما منها ربما بإفساد زينتها، لا يحق للعروسة أن تظهر بوجه ضاحك تملأه الزينة و كشكليوز حزينة

استمر الأمر حتى وجد الجمهور نفسه هو المطالب هذه المرة بإسعادها وإضحاكها، وظنا منهم أنها "نمرة جديدة"

انطلقت دعاباتهم ودعابات الأراجوز لفترة ليست بالطويلة، أملا فى اللحظة التى ستخرج عليهم بجملة تعوضهم كل هذا الانتظار أو بدعابة تفوق كل دعاباتهم، كلما طال الانتظار كلما توجب أن يكون الإفيه عاليا.

عاليا بدرجة كافية لتعويض هذا الإنتظار الطويل، يعرف الأراجوز هذا جيدا ويثير قلقه إطالتها لزعلها

"لايميها بقى واضحكى"

صرخ فيها بجدية لم تعهدها منه من قبل.

فانهمرت دموعها أكثر، وهذه المرة كانت دموعها حقيقية، وكلما كانت الدموع حقيقية عجزنا عن افتعال الضحك، تخجل عضلات وجوهنا من الانبساط أمام هذا الفيضان المتدفق من قنواتنا الدمعية

ثمة رابط حقيقى يربط بين أعضائنا فتتضامن مع بعضها فى رابطة أخوة، تشبهنا نحن البشر.

فكما يهيج القولون متأثرا بمشكلة تؤرق خلايا عقولنا، رفضت عضلات وجهها أن تضحك احتراما لصلة الدم التى تربطها بكل هذه الأجزاء الجريحة فى جسد العروسة الكرتونية.

وفى النهاية ملّ الجميع وانصرفوا، ولكن بعد أن دفعوا كالعادة "الحساب"

عندما كانت تمنحهم كشكليوز دعاباتها كانوا يدفعون فى المقابل ضحكاتهم، واليوم وردا على دموعها أهدوها وصلة سباب وشتائم تغطى تماما نفقات كل هذا الجهد البائس الذى بذلته كشكليوز لإتعاسهم

لم تعهد هذا الرد من قبل، كما لم تعهد صراخ الأراجوز عليها مأنبا لما كل هذا؟

"هو آنى مش بنى آدمة ومن حقى أزعل"

أحس الأراجوز بالذنب لكلماتها فجلس يواسيها وقد هزه توقف دموعها فجأة

قلت لك "متنزليش معاي الشغل"

قلت لك "انت مينفعش تتهانى"

"انتى اللى صممتى"

و"آنى معاتبتكش يا محمد"

كانت هذه أول مرة تناديه باسمه

هذه الصبية التى صرخت فرحا يوم تقدم لخطبتها بعد عشرون عروسة تقريبا يذهب لها وترفضه لأنه "أراجوز"، وفى كل مرة كان يهبط بسقف أحلامه وتوقعاته فى شريكة حياته حتى وصل إليها

ارتدى جلبابا قديما مخالفا توسلات أمه بتحسين هيئته قليلا

"ياكش ترفض .. يكون أحسن"

جلس منكسا رأسه على كنبة بيتها وفى مواجهته مطبخا بدائيا يختبئ خلف ستارة قديمة لا تقوى على مداراة شيئا من أوانى الطبخ المتناثرة خارج أرفف الدولاب الخشبية والتى يحمل كل منها لونا يشير لمرحلة سابقة من عمره حيث تم طلائه عدد لا نهائى من المرات بألوان لا ينسجم أى

منها مع بعضها أو مع لمعة الحيطان الزيتية المزينة بمسامير تتدلى منها أكياس بلاستكية تضم البصل والثوم والخبز الجاف

ومن خلف الستارة القديمة أيضا رآها تقف نصف معوجة وسط زحام المطبخ الذى بالكاد يتسع لأمها وخالتها وأختيها الصغيرتين

سمع صرختها الفرحة

الأراجوز!

آنى هتجوز الأراجوز!

حرك صوتها الطفولى الفَرِح أول خيوط حبل العشق الذى ربطه بها

ويوما بعد يوما صارت كشكليوز نصفه الآخر

فى البيت.. وفى العمل

هى من أصرّت على العمل معه، كان يقوم فى العادة بلعب الدورين "الأراجوز وزوجته" بكل مهارة

والحقيقة أنها أضافت الكثير للعرض، يخرج الحوار منهما معا حقيقيا، والجدال طبيعيا أشبه ما يكون بمجادلتهما اليومية فى بيتهما

هى تعشق الجدل، وهو يحب مشاكساتها

لم تشكو يوما من وقفتها الطويلة وراء الساتر الخشبى ولا من الترحال الكثير من شارع لآخر

اليوم فقط كانت في غير حالتها

حزينة حقا

لم يكن يدرى أن شراء علبة البودرة للعروسة سيحزنها إلى هذا الحد

"ياريتنى ما خلتها تخرج غصب عنها"

يبدو أنها سمعته كالعادة رغم حرصه على إخفاء همهماته عنها كالعادة اتقاءا لردودها المفحمة

" ملوش لزوم التبكيت خلاص يا محمد اللى حصل حصل"

"مادام لسه بتقولى يا محمد تبقى لسه زعلانه"

اصطنعت النوم ولم ترد عليه

مرت الأيام وهو لا يجرؤ على مفاتحتها فى العودة للعمل ولا يود أيضا مفارقتها والعمل وحده

ثم قرر أن يحاول معها، ولما لم تجدى محاولاته استسلم فى النهاية وعاد للعب الدورين معا وبداخله يقين أنه سيعود خالى الوفاض سيسأله الجمهور أين كشكليوز، سيلاحظون حتما كيف صار العرض ناقصا بدونها، لن يضحك الجمهور وسينفض العرض سريعا

كان متأكدا من كلامه حتى أنه وعد كشكليوز بالعودة مبكرا

غير أنه استمر فى تقديم العرض كالمعتاد مدفوعا برغبة الجماهير المحتشدة فى أن يعيده كل مرة

لم يلاحظ أحد غياب كشكليوز

كل ما يعنيهم هو العصا تنزل فى نهاية العرض على جسد العروسة الخشبى فيضحكون

هذه المرة آلمته كثيرا صيحاتهم وهى تطلب منه بمنتهى القسوة واللامبالاة أن يضربها مرة أخرى فصرخ فيهم رافضا

ثم ربت على يده الأخرى التى تلعب دور كشكليوز منهيا العرض

"متزعليش يا حبيبتى"

لملم مسرحه الصغير وعاد لكشكليوز يشكى لها رتابه العمل وتعبه، ويشجعها على الاستمرار فى قرارها بالبقاء فى المنزل

آنى أصلا مالأول اللى كنت بقولك مش عاوزك تتهانى

دى ناس متستاهلش تضحك.

الرسالة العاشرة

عزيزتى "زهرة الأوركيد"

رائحتك الطبيعية هذه هى أنسب ما يمكن تعطير أجواء البيوت

الحميمة به

وإن تملل أحدهم من ذلك

فدعيه يذهب ليعرف أن العالم يتشابه كثيرا عند أطرافه

إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

عايدة

لم أكن أرغب سوى فى شراء آلة الجيتار التى لا يزال ابنى يطلبها منى بإلحاح شديد حتى كدت أبيعه هو شخصيا لأتخلص من قائمة طلباته المدرسية التى لا تنتهى

أنواع معقدة من الأقلام الملونة والكراسات، والعجائن المصنوعة من مواد كيميائية ضارة للأطفال ولكن لا يهم، مادامت تفى بالغرض فى ملء اليوم الدراسي بأشياء تقنعنا نحن الآباء بدفع الأقساط المدرسية

ذهبت مدفوعا برغبة قوية فى إنهاء هذه المهمة من أول مرة

لن أتحمل أن أذهب لهذا المكان أكثر من مرة

شارع محمد على

إذا أردت شراء آلة موسيقية عليك الذهاب لهناك

تباع الآلات الموسيقية فى أماكن كثيرة ولكن بأسعار أعلى، أستطيع استقطاع جزء من وقتى والتضحية برونق مظهرى الكلاسيكي المعقد كمهندس محترم فى سبيل توفير رقم يتجاوز المائة جنيه فرق سعر آلة الجيتار

خاصة وأنها لن تكون آخر المرات التى تطلب فيها مدرستنا نصف الدولية التى أصرت زوجتى على إلحاق ابنى بها طلبا مبالغ فى سعره

لا أدرى ماذا يعنى نصف دولية هذا وإلى أين سيقود هذا الاسم مستقبل ولدى الحبيب

خاصة وهى ذات المدرسة التى تخرجت منها ابنتى الكبرى منذ أعوام قليلة ولم تكن تحمل ذات الصفة

كنت قد انتهيت أنا وزوجتى من أمر تربية الأطفال واكتفيت أنا وهى بابنتنا الوحيدة التى دللناها بما يكفى ولم تتجاوز قائمة طباتها المدرسية قلم بيك جاف، و مثله من الرصاص وعلبة ألوان تتكون فقط من الألوان الست التقليدية التى نعرفها جميعا

حتى فاجئنا هذا الصغير بقدومه ليجرنا قسرا لحمى التعقيد والمبالغة التى أصابت قلب هذا البلد

بدءا من اختيار اسمه الذى أبدا لم يكن ممكنا ليصبح أحمد أو حسن أو شئ من هذا القبيل ضربت زوجتى الودع وقدمت النذور لآلهة اليونان والرومان القدامى ليهبونها إلهام اسم مستحدث لم يهبط على أى من سكان الأرض من قبل، ثم ومع كل خطوة كان يخطوها "سَجّاد" ابننا كنا نخوض رحلة تربيته مثل عجوزين استئنفا مراهقة القلب توا بعد غياب، أثار لنا

"سجّاد" ويعنى كثير السجود باسمه الشائك هذا الكثير من اللغط إذ كنا مضطرين لتصحيح نطق الاسم وتحمُّل دعابات سخيفة من كل المحيطين.

ليتها كانت دعابات.. بل كانت دعابة واحدة فقط تتكرر فى شكل يتحدى قوانين الإبداع والفروق الفردية بين البشر، الجميع يقفز فى ذهنهم نفس التعليق بنفس الكيفية ونفس انفعالات الوجه

أحيانا كثيرة كنت أتمنى أن يُسمعنى أحدهم دعابة جديدة حول الاسم الذى لم أكن أبدا راضيا عنه، كنت أريد أن يُضحكنى أحدهم على حالى حقا.

تمنيت يوم ذهبت لتسجيله لو حدث طارئ ما لأضاهى به حجة زوجتى التى تصر أن هاتفا إلهيا دعاها ليلا لتسمية ولدها ب"سجّاد"

لم يكن فى يدى أى حيلة أرضية لإقناعها، انتظرت لآخر لحظة أن تهبنى السماء أنا أيضا هاتفاً مثلها ولكن لم يحدث شيئا من ذلك، وبدا موظف السجل المدنى معتاد جدا على هذا الاسم وكأنه يكتبه يوميا، وعندما حاولت شرح الموقف له رغم أنه لم يطلب منى ذلك، رمانى بنظرة تقول إذا كنت سأفهم معنى كل اسم أكتبه لكم لكان عليّ أن أترك هذه الحجرة الرمادية المختلطة حوائطها بالسواد رغم أنها لم تشهد حريقا يوما،لأسكن الاستوديوهات المكيفة التي يشرحون للناس فيها ما خفى عنهم من أسرار

لم نكن يوما فى حاجة لمعرفتها مثل تأثير ألوان الأحذية التى نرتديها على مستقبلنا المهنى، أو مفعول خليط زيوت الهيلا هولا إذا ما وضعناها على شعرنا لثلاثة أيام متوالية على صحة الأمعاء الغليظة

لم ينطق بشئ من هذا

قال فقط" ابنك وأنت حر فيه يا أستاذ"

أقنعنى الرد، وكلما سألنى أحدهم اشتريت ابنى من أى فرع للنساجون الشرقيون؟

كنت أرد بنفس الجمله "ابنى وأنا حر فيه"، ولكنى دفعت ثمن هذه الحرية كثيرا

آخرها هذا المشوار ثقيل الظل لشارع محمد على فى عز ظهيرة أكتوبر التى ما عادت تختلف كثيرا فى حرارتها عن ظهيرة يوليو أو أغسطس

أصبحنا نعيش فى مدينة القاهرة حرا متواصلا يتخلله نسمات ربيعية فى أحسن الأحوال من آن لآخر، أهدانى موقع الإنترنت بمشهد مقتطع من فيلم قديم تظهر فيه تحية كاريوكا بشخصية "معلمة" تدير قهوة بلدى

أثار المشهد في داخلى حنينا جارفا لأجواء الحارة المصرية، ما جعلنى أستيقظ بكامل نشاطى وأرتدى أفضل ما عندى وأذهب إلى شارع محمد على مفعما بالأمل فى خوض مغامرة عمري.

سيكون يوما مميزا وسأحكى مغامرتى هذه لأعوام كثيرة مقبلة، أصبحنا نفتقد حقا لأى شئ يقال فى مقابلاتنا مع الأهل والأصدقاء باستثناء تبادل تلك الوقائع التى لا تخصنا المتداولة على صفحات مواقع التواصل الإجتماعى

لا يملك أى منا ما يحكيه، فنظل بالساعات الطويلة مطأطأين رؤوسنا فى شاشات الهواتف الصغيرة

قلت لزوجتى "هل تريدين شيئا آخر من شارع محمد على"

فضحكت ضحكة لم أعهدها منها من قبل، ربما بفعل عبق الإرث التاريخى الذى يحمله اسم هذا الشارع العريق الذى يتناثر من بين حروفه أينما جاءت سيرته

"احضر لنا معك رقاصة"

تركتها وهى لا تعلم أن فى نيتى حقا أن أفعل ذلك

لقد مللت النكد المتواصل والطلبات التى لا تتوقف.. مللت الطاحونة التى تربطنى فيها هى و"سجّاد"،

لا بأس بمغامرة تعيد للقلب شبابه الذى ضاع فى ملاحقة هوس الحياة النصف الدولية

قهوة المشير

أول ما صادفنى فى الشارع هى يافطة المقهى الأشهر بالشارع، وأول ما صادف عينى داخل المقهى "هى" عايدة .. وكأنها كانت تنتظرنى

تحية كاريوكا بكل تفاصيلها ولكن فى أواخر أيامها، لا بأس سأقع فى حبها مهما كان.

تجاهلت نداءات صبىّ المقهى، وذهبت إليها مباشرة سألتها بكل شموخ "أريد شراء آلة جيتار"

لم تُعرنى أى انتباه والتقط الصبى الحوار "تعال يا أستاذ هوصفلك أنا المحل" .. ابنى سجّاد مطلوب منه فى المدرسة

لم يلفت نظرها اسم ابنى، لم تلق فى وجهى الدعابة التقليدية حتى أو ربما أفزعتها بذكر أنى متزوج ولدى طفل

كم أنا أحمق!

ولكن يفترض أن هؤلاء النسوة لا يهمهن مثل هذه التفاصيل الصغيرة

تختلف ملامحها عن قرب عن ملامح تحية كاريوكا كثيرا، تبدو قريبة الشبه بـ"حماتى" لا أعلم لماذا تخيلت زوجتى تشبهها بعد ٢٠ عاما من الآن، وأمام جمودها وتجاهلها لى عادت إلىّ روح أبو سجاد الذى قطع كل هذه المشوار مضحيا بوجاهته من أجل توفير مائة جنية

" معلش أنا أصلي مهندس ديكور مفهمش فى الموسيقى"

ألقيت بجملتى الأخيرة محاولا إنهاء الحرج الذى أوقعت نفسى فيه وأدرت رأسى معلنا بداخلى إنتهاء المغامرة قبل أن تبدأ

فوجئت حقا عندما سمعتها تناديني: "خُد يا أبو سِجاد"

قالتها بكسر الجيم طبعا وبلا أى نبرة سخرية

ذهبت إلي المقعد المرتفع وهو الشئ الوحيد الذى يجعلها تبدو "تحية كاريوكا" رغم سمنتها وبشرتها الباهتة وكل هذه الزخارف الذهبية التى تجعل من عباءتها السمراء الضيقة شيئا لا يليق بنجمة مثلها كانت حتى وقت قليل تمثل حلما لرجل، حتى لو كان هذا الرجل هو أنا مجرد مهندس هزيل الجسم أبيض الشعر إلا من قليل وضعيف الإبصار " بدون نظارته".

أغرقتنى على مدى يساعة كاملة بتفاصيل خلافاتها مع زوجها حول تطوير المقهى الذى هو فى الأصل ملكا لها وتريده تحويله لـ"كافى شوب" مثل التى تشاهدها فى التلفزيون

نعم كانت راقصة سابقة، وهذا المقهى هو كل ما تملكه نتيجة "عرق السنين"، كما أنها تماما فى عمر زوجتى لولا مرض السكر الذى داهمها وأجلسها فى هذا المكان ولولاه أيضا لظلت سلطانة شارع محمد على.

زوجها أمين شرطة محترم مثلى "هكذا وصفته بفخر" ولكنه لا يفهم حلمها لتحويل المقهى لكافى شوب

لديها أخوة كثيرون، كلهم "معهم شهادات" ومحترمين مثلى أيضا، وأبنائها يدرسون بإحدى المدارس التى لم تستطع نطق اسمها بشكل صحيح

تريد استعادة مجدها عبر تجديد المقهى "عاوزة أخللى العالم كله يحكى عنها"

قلت لها ببساطة "وماله يمكن أيضا أن تجعليها نصف دولية"

تهلل وجهها دون أن تفهم مزحتى وقالت "بالظبط هو ده اللى عاوزاه"

استطردت فى طلباتها، أصابنى صداع رأسى المعهود محاولا تنبيهى لتجاوز ضغط الدم فى رأسى حدوده القصوى "ما هذا البؤس ياربى"

حضر الصبى لينقذنى مُحضرا آلة الجيتار فى يده

"هدية منى لسِجاد"

قالتها أيضا بلا أى نبرة سخرية وإنما بحنان أم أغدقنى أنا شخصيا وأنا أتلقى هديتها، شكرتها، واعدا إياها بالعودة مرة أخرى لاستكمال حوارنا

عدت لزوجتى بالجيتار الذى طلبته، وبدون رغبة فى حكى أى تفاصيل عن مغامرتى.

فقط أصبحت بعدها أكثر هدوءا وتقبلا لأى طلبات مدرسية جديدة.

الرسالة الحادية عشر

عزيزتى "دوار الشمس"

احرصى على اتباع الضوء فهو قدرك

انتبهى لتلك الأشياء الصغيرة

لا..

أقصد الصغيرة جدا جدا

هناك يكمن الحل

إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

فرصة أخيرة؟! . . ربما

اليوم هو موعد تجديد رخصة سيارتها

هل هناك أسوأ من ذلك؟ نعم

ذلك الخطأ الإملائى غير المقصود الذى يقع دائما فيه الجميع عند تسجيل اسمها بأى أوراق رسمية فيجعل الأمر أكثر شقاءا ..

"هانزاده حمدى " وليست " هانى زادة"

دائما ما يلجأ الكل للضابط "محمود"... هذا الشهم الذى ما تأخر يوما عن خدمة جيرانه وكأنه ملاك مكلف بخدمتهم.

أكيد هيساعدك؟؟ هذه الجملة الإكليشيه التى ترددت على لسان الجميع.

جميله شارعنا المعروفة لكل السكان حتما ستجد الطريق سهلا إلى إقناع الضابط محمود بمساعدتها فى إنهاء أوراق السيارة المتعثرة.

تلاحظ هى دوما نظراته المتجهمة المستترة لها عندما تقابله صباح كل يوم، وتتبرم من تعطيله لها عند الخروج بسيارتها من الجراج، فدائما الأولوية لسيادته وعليها أن تنتظر لينتهى الجميع من مجاملته ثم يسمحوا لها بالخروج.

لا يشفع له غير تلك الرغبة المستميته بداخلها لرؤيته كل صباح التي تجعلها تتسمر تحت تأثير هيبته وصوته الرخيم لتراقبه وهو يعطي أوامره هنا وهناك، قبل أن يركب سيارته ويمضي أمامها.

فقط لو كان أكثر لطفا وأقل حزما .

ولكنه دائما جاف صارم عاجز عن الضحك، ولهذا لم تبد المهمة سهلة لها كما يحاول الجميع إقناعها، ومع ذلك لم يكن هناك مفر من جمع أوراقها والذهاب إليه على أمل المحاولة

أى حظ أحسن من أن تقع أوراقك بالكامل بين يدى

بياناتك واسمك وصورتك وكل ما لم أكن حتى بحاجة لمعرفته قد صار ملكى الآن... لا ينقص منك شيئا سوي هذا الجسد الذى لم تسمح لى الفرصة يوما بلمسه

لماذا لم يخترع أحدهم وسيلة لقيادة السيارات وقوفا، تلك اللحظات القليلة التى تجمعه بها فى جراج العمارة يوميا ليست كافية أبدا للتأكد من تفاصيل جسدها وهى جالسة خلف عجلة قيادة سيارتها.

"تعاليلى المكتب يوم السبت الصبح"

أعطاها الموعد واستدار سريعا

غبى ..

ما الذى فعلته؟

لماذا تركتها تغادر سريعا هكذا؟

كان هناك مائة طريقة وألف سؤال وعددا لا حصر له من الحكايات التى تصلح كبداية رائعة لجعل حلم الاقتراب منها حقيقة أخيرا

كانت واقفة بطولها أمامى أستطيع التاكد من تفاصيلها كما أستطيع أن أشم رائحتها

رائحتها!!

نعم لقد كان لها رائحة تغطى كل صباح على ركود وعفن الهواء المسيطر على الجراج الملئ بالسيارات، يعرف أنها هنا إذا ما شم الرائحة بدأت تنتشر فى الهواء

ولكنه بدلا من ذلك أنهى الحوار بأسلوبه الجاف فى الرد

حسنا هناك فرصة أخرى

فى المرة القادمة لن أدعها تمضى

فى الموعد المحدد تماما جاءت إلي مكتبه بوحدة المرور.

تبدو صباحات السبت مختلفة نوعا ما.. أكثر هدوءا وأنقى هواء.. لا وقت أنسب من هذا لتحاول لفت انتباهه إليها.

ارتدت بنطالا جديدا من الجينز يعلوه قميصا ورديا جديدا أيضا، استبدلت رائحة العطر التى تستعملها بأخرى أعلى صوتا لعله يسمع، ثم بحثت بين عباراتها التى تستعملها عادة عن شيئ جديد أيضا يقال..

أتعبها البحث حقا

ما الذى يمكن أن يقال لهذا المغرور الأحمق؟!. هل على أن أتملقه حتى ينهى لى الأوراق؟.. أم أبدى إعجابى بلزاجة خصلات شعره التى ستسقط يوما من كثرة تصلبها متأثرة بـ"جيل" الشعر الذى يستعمله

اه ليتنى أستطيع أن أصفف له شعره بنفسى يوما ما

تعمد لقاءها بشكل سخيف

فتيقنت هى أن المهمه ليست ميسرة تماما كما توقعت، فاقترحت عليه أن تترك الأوراق لينهيها على مهل لتعود إليه هى فى وقت لاحق لاستلامها

"لا الموضوع مش سهل وانتى لازم تفضلى معانا شوية"

هطلبلك شاى معايا

خرج من غرفة مكتبه يمسح عرقه المتصبب بغزارة لا تلائم برودة جو الثامنة صباحا

"غيّرت نوع العطر!! ماذا أفعل الآن.. لقد أفسدت بجنونها المعتاد كل الطرق التى مهدها فى عقله ليبدأ بها الحديث معها.

غاب كثيرا وهو يبحث عن خيط جديد يصلح لالتقاط فرصة للحديث معها، ثم عاد مع صوت العسكرى ينبهه للشاى الذى طال انتظاره فى يديه

شاي بارد ملئ بالسكر.. هذا هو أكثر ما أكرهه بالتحديد في الحياة، رددت بين نفسها وهى تننظر إليه من تحت الكوب الورقى مدعية عدم الاهتمام لتجده هو الآخر منهمكا بحق فى النظر للأوراق، مبديا لامبالاة بوجودها .."

لم يفلح معه شئ لا العطر ولا القميص الوردى ولا حتى اسطوانة المدح الركيكة التى اضطرت لإلقائها عليه فرد عليها باقتضاب "مرسى.. شكرا".

عادت لكوب الشاى البارد محاولة بصعوبة بلع ولو رشفة واحدة لتنهى إصراره عليها بتناوله..

رفع نظره هو إليها ليجد علامات الاشمئزاز تعلو وجهها، راح يحدث نفسه متسائلا

"ألا يرضى غرورك شيئ من كل هذا !! لا البدلة الرسمية ولا لمعان المكتب الذى حضرت ساعة كاملة مبكرا للإشراف علي الاعتناء به بنفسي،

لقد اشتريت خصيصا لك أكواب ورقية وملاعق بلاستيكية حتى لا يضايقك أكواب ومعالق الوحدة غير النظيفة

تتركين كل هذا وتعطين كل تركيزك لكوب شاى بارد!!

نهض من كرسيه ليقاطع إحساس الندم على جهده الضائع قبل أن يدفعه لسحب الكوب الورقى من يديها وإعادته مرة أخرى للمحل

"عن إذنك .. أكيد الورق خلص"

غادر المكتب ليجد صديقه الأثير يحمل الأوراق عند الباب

"عملت اللي قلتلك عليه"

"اه بس أفهم ليه كدة"

استدار تجاه المكتب حاملا الأوراق دون أن يرد عليه

أما هى فما أن ذهب لإحضار الأوراق حتى رمت بكوب الشاى البارد بجوارها على الأرض غير مبالية بالسائل الذى أفسد نظافة المكان وأصابع قدميها الصغيرتين التى تلمع بألوان طلاء وردى يشابه لون قميصها من بين فتحات الحذاء المفتوح.

لن ينطق بكلمة.. إذا كان لديه شيئا يقال لكان قد قاله

عاد سريعا قبل أن يتمكن الشجن من السيطرة على ملامحها وإزاحة شعور الاشمئزاز القديم، ليتلق سخطها على برودة اللقاء قبل الشاى على

محمل شخصى، كما تلقى قرارها بإراقة الشاى كإهانة لشخصه فبادلها نظرات السخط والاشمئزاز بمثيلتها ثمناولها الأوراق دون كلمة..

وفيما بدا كمحاولة يائسة لاستدرار نهاية لطيفة على الأقل طلبت منه إعاده فحصها مرة أخرى، ومراجعتها بدقة.

تمام.. اتفضلى

تفضلى هكذا ؟ !! لا أكثر!!!!

حسنا فليضع القدر نهاية إذن لهذه الرحلة التي لا توصل إلى مكان..

أخذت الاوراق من يده

انصرفت سريعا بما لم يسمح أبدا لدموعها المتحجرة بالإنصات لصوته المحشور فى حلقه يناديها

عودى ثانيةً.. لأى سبب

كانت تعشق قديما التجول بسيارتها بلا هدف، وفى يوم سبت كهذا تبدو فيه الطرق خالية على غير عادتها كانت لتنطلق بها فى شوارع الحي الراقى التى تعشقها منذ طفولتها بلا ملل..

ولكن

ليس بعد... فقد صارت الرحلات مكلفة.. لابد من أن يكون للتجوال هدف.

انطلقت مسرعه بالسيارة، ضغطت زر تشغيل الراديو لينطلق صوت أغنية شعبية رديئة مختلطا مع ضجيج الظهيرة الذى أفسد هدوء الشارع..

قذفت بالأوراق على المقعد المجاور ليخفي انعكاس ضوء الشمس على غلاف الورق البلاستيكي الجديد البيانات المكتوبة عليه

الاسم: "هانى زادة" حمدى العليمى.

الرسالة الثانية عشر

عزيزتى "السوسنة"

ما رأيك فى اقتفاء أثر جدتك شهرزاد

وتغيير الكون من حولك بسحر الكلام

كيف؟

إليك هذه القصة

أحبك

ن.س

بائعة الحواديت

وحدي أعرف هذا السر الذي تخبئه... وحدي أراك من تلك الزاوية التي لا يستطيع أن يلتقط وجودك بها أحد... تكذب حتى صار الكل يرى الكذب في سواك ولا يراه خارجا منك مسترا برداء صدق مصطنع بدقة..

أنا فقط...

ولي كل فخر هذا العالم الساذج

اختارتني المعجزة لتستقر في جيبي.. دون جهد مني

سعيدة أني لم أضطر لاجتياز اختبارات الذكاء الغبية لأحصل على شهادة خبرة بأحوال قلبك غير أني لا أعرف ثم ماذا الآن؟..

أين أذهب بسرك في هذا الكون الكاره للبراءة؟

تختبئ الأسرار ثقة في أن وجودها لا يعني أحدا غير أصحابها.. تمثل لهم قطعة من أرواحهم بينما تبدو لغيرهم "كأضحوكة اليوم" تطالعهم من فوق صفحات جريدة صفراء يلوكونها بألسنتهم دون أي تأثر ثم يمضون إلى غيرها باستهتار لا يليق أبدا بما فعلوه من فعل فاضح لأراوح كانت بريئة لولاهم

لن أفعل بك مثلما يفعل هؤلاء القساة المجرمين، لن أحكي سرك، لن أفضح روحك...

بل سأراك أنا أيضا مثلهم بريئا نقيا، وسأكذب مثلك حتى يبدو الكذب خارجا مني ملتحفا برداء الصدق المصطنع ذاته..

ولكن _بيني وبينك_ كلانا يعرف

أن برئ القلب بهي الطلعة هذا سقط مشدوها أمام عيون فتاة العرض الفني المتنقل.. هذا الفعل الغوغائي الذي اقتحم هدوء المدينة فانتزع وقار الكبار، وأثار جنون الصغار، وأشعل غيرة النساء الباحثات عن الاستقرار في قعر قدور الأحلام.

حتى انبرى الجميع بحثا عن أكثر شخص بمدينتهم يملك عقلا سليم الفطرة، لم يتلوث يوما بالتفكير فى فعل أحمق ليلقوا عليه عبء إصدار أمر الرحيل القاسى على القلب للمتعة المفاجئة التي نثرت بذور الفرح على أرضهم العطشي.

كيف "لبائعة الحواديت" أن تنصب خيمة على أعتاب المدينة، لتقول للناس كلاما خياليا حول الحب وحول الحلم وحول المتعة؟ وتهدد عقل السكان؟!.

جاءوا بك إلىّ دفعا، تجر خطاك مجبورا على السير.

هل كان يعلم ساعي الخير هذا أنه يسوقك بغير رجعة إلى دنيا الجنون والصخب؟!..

تلك التي ترفض مدينتكم أن تفتح الباب لأي زائر من سكانها لكي لا تلوث أفكارهم حماقاتكم التي تدعونها "عقلا".

حاول وجهك عبثا جمع خيوط الغضب المبعثرة بين ملامحه فبدوت غاضبا فعلا

حسنا..

غير أن جسدك المتمرد بدا أقوى من كل ملامح وجهك الغاضبة في فرض رغبته بإعلان السرور بلقائى.. تقدمت نحوي متحسسا أقرب موقع يدنيك مني، تسحب أكبر جزء ممكن من رائحتى المنتشرة حولك بين شهيقك، وتخرج بدلا منها رذاذا يشبه أمطار الصيف ليرطب هذا الطقس السئ الجاثم على حبات هواء المدينة، ويحل محل الدخان المتصاعد من هؤلاء الغاضبين

انطلق لسانك يصدر أمر الرحيل بحروف باهتة خالية من نبرة الجدة المشهورة عنك

"ابتعدي من هنا".. قلت أنت

ليهتف الجمهور من حولك تأييدا لشجاعتك، وتصرخ أعضاء جسدك فيك طلبا للبقاء بجوارى حتى الموت.

رأي الجميع ملامحك القاسية .. سمعوا صوتك الغاضب.. تابعوا خطواتك الجادة في إنهاء هذا الهرج.

ووحدي...

وحدي أنا

"شعرت" بك

بادلتك الإحساس ذاته، ونظرت في عينيك نفس النظرة المملوءة استعطافا بالبقاء.

"المكان يتسع جدا لبعض المرح"...قلت أنا

" الأرض واسعة بما يكفي لنبقي جميعا معا، والقلب يريد.. يريد جدا أن يترك حماقات هذا العالم المدعوة "عقلا"... لم يصرح أيا منا بهذا

حسنا

أعدك أني سأبقي

قل لأهل عشيرتك ما شئت في حقي،، وأعلن عليهم فشل خطة طرد الجنون والعبث عن أرضكم الطاهرة.

ولكن _ بيني وبينك_

تعلم أني سأبقى _فقط_ امتثالا لأمرك بالبقاء

لشديد حاجتك إلى عابثة مثلي تنزع خصلات شعرك بيدها كل مساء لتصيبك بألم لذيذ لم تعهده من قبل.

وعلى الجانب الآخر سيتحول أمر مدينتكم شيئا فشيئا

ستسير الخطة كالآتي: يأتيني الأطفال صباحا بعد أن يقفز كل منهم أسوار مدرسته، ويُضيع من بين يديه عمدا تلك الأوراق الحمقاء المكسوة باللون الأحمر على شكل دوائر مغلقة تمحو آمال كل منهم في الغد الوردي.

وسأحكي لكل منهم قصته على حدة.. فلكل منا قصة تصلح له وحده لن يفهمها شخص غيرهتمنح عينيه الضوء اللازم ليشاهد، ولقلبه اليقظة ليحس.

وفي الظهيرة الحارقة سيترك عمالكم المصانع لتذهب بماكيناتها وتروسها إلى الجحيم فهي تستحق ذلك وأكثر.. لكم أصابت بحرارتها صدورهم ووجوههم الناعمة لتمحو منها أثر الراحة، ومذاق الاستمتاع بطعم الحياة.

لدي متسع هنا في الخيمة ليمارس كل منهم الاسترخاء المنشود بينما أقرأ عليهم بعضا من سير أبطال الحارات الذين نبتوا من رحم المعاناة، حتى تعود اللمعة لأعينهم ويعود إشراق البسمة المعهود قديما فوق ثغور العمال

وبعد انكسار حر اليوم و سكون الصخب الصادر من كل زوايا المدينة الصارخة دوما بلا سبب ستأتيني نساء البلدة ليسمعن حكايات قدامي الحسناوات، ويتعلمن منى كيف يكون لسحر الكلمة قوة إيقاظ الموتى المدفونين تحت غطاء أسرّتهم.

وقبل أن يجنّ الليل ستأتيني أنت _برئ الوجه .. بهي الطلعة كالمعتاد_، محمولا على أكتاف سكان المدينة، الذين يختارونك دوما لأداء كل مهمة صعبة، يصرخون فيك لتفعل كل ما بوسعك لتجعلني أبقي.

وأعدك أيضا أني سأبقي

فقط امتثالا لأمرك بالبقاء

لأحكي بعدها بينهم حكايتي الأخيرة التي لن يكون فيها أي إشارة من قريب أو بعيد لهذا السر الذي أعرفه وحدي

الرسالة الثالثة عشر

صغيرتى "زهرة الليلك"

زهرة كثيفة الأغصان مثلك

مازال الوقت مبكرا لقطفها

فى انتظار أن تبدأ قصتك الحقيقية

أهديكي هذه القصة

أحبك

ن.س

١٥ عاما من الذكريات

انتهى

ذاك الذي بدأناه يومها حين كنا صغارا لا نفقه شيئا عن أحوال الدنيا ...انتهى من قلبي .... لا لم ينتهي

ولكن أعدك في كل تصرف يأتي مني منذ الآن فصاعدا أن اثبت لك أنه قد انتهى، استمر الأمر لمدة ١٥ عاما من الذكريات منذ كنت في السادسة من العمر، وكنت أنت ابن الـ ٩ سنوات.

كان طريق المدرسة شاقا بالنسبه لك، تبكي بكاءا حارا أسمعه أنا وكل جيراننا حين توقظك أمك كل صباح لتذهب إلي المدرسة

حتى جاء اليوم الذي قررت أمي فيه إلحاقي بنفس مدرستك تأثرا بمبالغات أمك حول النظام الدراسي شديد الجدية بها، والمهارة الفائقة لمدرسينها والذين عزت تفوقك الدراسي إليهما، ولسبب اقتصادي بحت وهو تدبير أمر الباص المدرسي الخاص الذي يوصلنا معا، صرت شريكتك في الرحلة.

ولمدة أعوام كثيرة تلت هذا اليوم كنت أستيقظ فجرا، أنتظر مع نسمات الصباح صوت صراخك الرافض للذهاب للمدرسة ليعلن عن بداية اليوم، فأجهّز بنفسي الزي المدرسى الذي كنت أحبه فهو يجعلني أشبهك كثيرا

تتفاجأ بي أمي حين تأتي لإيقاظي في كامل استعدادي، أترك لها فقط مهمة تصفيف شعري فلا مجال للمجازفة بتسريحة شعر طفولية غير مهندمة، كانت أمي تجيد تصفيف شعري الناعم بما يليق بإبراز جمال خصلاته البنية، وكنت أعتمد كثيرا على شعري في لفت نظرك إلي وجودي.

ضايقتك الخصلات المتطايرة في عينك عندما جلست في المقعد السابق لمقعدك بأول مرة فكان الحل لإيقاف مشاجراتنا هو أن أجلس بجوارك لباقي أيام الرحلة، لا أعرف لماذا تصرخ يوميا رافضا الذهاب للمدرسة التي ما أن تدخل من بابها حتى تصير نجم المكان بلا منازع، الأشطر والأذكي والألطف بين كل التلاميذ، والطالب المثالى المفضل لدي كل المدرسين

على عكسك تماما تبدأ معاناتي هنا، حاولت أمي كثيرا نقلي لمدرسة أخرى أسهل لولا سيطرة أمك عليها فكريا وسيطرتي عليها عاطفيا نستطيع كلانا أنا وخالتي مريم إقناع أمي بكل شئ

لطالما أحببت أمك كثيرا، منذ أول مرة نادتني فيها بـ "عروسة ابني"، ومع كل دعابة كانت تلقيها في هذا الشأن كنت أحبها أكثر لدي مئات من دفاتر المذكرات التي طالما ما كانت تحتويني بمشاكلي معك، صداقاتك المبالغ فيها مع زميلاتنا، حماسك الشديد في حصة الألعاب الرياضية الذي يخلع قلبي عليك مع كل إصابة تلحق بك، وما أكثر ما تمزق قلبي مع أربطة قدميك ويديك.

مزقت الدفاتر القديمة كلها، حتى لا تقفز منها الذكريات أمام عيني في يوم أعرف أنه قريب مني فتهزمني

وإن كنت أعرف أيضا أني سأظل أحبك حتى بدون ذكريات

وهل هذه الدفاتر المتواضعة هي كل ذكرياتي معك؟!

أنا الآن في مقتبل العمر "شابة" يفترض أن تختبر مشاعرها لأول مرة

وما أقسي أن تبدأ الرحلة وقد انتهيت حقا من الرغبة في المغامرة، استنفذتك الألعاب الصبيانية، أدفع ثمن إصرارى الساذج أنك حبى الأول والأخير

أقف الآن أمام عتبات شبابي ولا أدري هل حقا كنت أنت الشخص الوحيد المناسب فقد اختارك القلب بكل فطريته وعفويته التي لم تلوثها حسابات الزمن

إن كانت هذه هي الحقيقة فقد هلكت

فمن أين لي باسترداد عفوية هذا القلب وبراءته؟!

علىّ أن أقتنع شئت أم أبيت أن القلب يمكنه أن يحب من جديد، وهذه المرة عليه أن يحب من ترتضيه له تعقيدات الكرة الأرضية الثلاث؛"الظروف والعادات والمتطلبات المادية" والأخيرة تلك صاحبة القول الفصل التي ننعتها بأقسي الأوصاف فتنظر إلينا من عليائها تضحك ضحكتها الساخرة المعروفة، ثم تجرنا قسرا للرضوخ تحت قدميها كنت برئ القلب في طفولتك حقا.. ماذا حدث لك؟

كيف اقتنعت بلحظة أن اختيار والدتك "حبيبتي" التي لم أتوقع خذلانها يوما هو الاختيار السليم؟

وكيف لي أن أقنع أمي برفض هذا القادم من المجهول هو الآخر؟!..

كنت واضحة في ردي أنا لا أريد متع الدنيا التي ستلهيني عنك..

لا معنى لطعام فاخر بلا رائحة أنفاسك تشاطرني طاولتي، ولا دفء ببيت لا يطل اسمك على لوحة ذهبية تتوسط بابه

انتظرت أن تنتهي الزوبعة بخبر رفضك أنت أيضا للزيجة المرتبة بدقة، توقعت أن تجئ أمك لتحكي لنا عن عنادك مثل كل مرة ولكنها وللأسف جاءت لدعوتنا لحفل خطبتك.

ذهبت لغرفتي أبحث عن أقلامك التي أهديتني إياها طوال هذه الأعوام عندما كنت أفقد محفظة أدواتي المدرسية كالمعتاد، راجعت كومة الأوراق التي تحوي كل ملحوظة خططتها لي يوما بخط يدك حتى لو كانت مجرد رقم هاتف محل البقالة الذي طلبته أمي منكم

كل شئ في مكانه ...

حتى شرائط الكاسيت القديمة التي ألقيتها يوما خلفك غير عابئ بمصيرها بعد أن اشتريت ذلك الاختراع الحديث "الآيبود" الذي أصبحت مهووسا به، وبأغانيه التي سحبتك شيئا فشيئا مني، صرت تمضي الوقت في رحله الذهاب والعودة في الباص وأنت تضع سماعات الأذن ترقص وتتمايل لحكايات وآهات لا تحكي لي عنها شيئا كالمعتاد.

لم تعد أشيائك القديمة تليق بك...

اشتريت سيارة تليق بطبيب المستقبل لتقلك إلي الجامعة وبقيت أنا أركب الباص وحدي.

حتى لو كان وجودك كان قد تحول لشبح يجلس بجواري تائها مع الألحان المنطلقة من مشغل الموسيقى إلا أنه كان لا يزال عظيما بالنسبة لي

أما بدونك فقد صار الباص موحش، صارت الرحله مخيفة لم يكن يدفعني للمضي فيها سوي رغبتي في اللحاق بك

حاولت جاهدة اللحاق بك في كليتك الجديدة وفي حياتك الجديدة

ولكني لم أستطع سوي أن ألحق بمقعد يشبهك، تشبه دراسة العلوم الطب كثيرا، أستطيع الحديث معك حول أمور مشتركة، ومع هذا لم يعد مسموحا لي مرافقتك رحلتك الجديدة فالطريق إلى الجامعتين "مختلف" تحملت الكثير من المواقف المحرجة حتى لا أقولها صراحة ولكن هذه هي الحقيقة، طريقنا اختلف.

سأكتفي إذن بمتابعتك بينما تستقل سيارتك الجديدة وبجوارك رفيقة رحلتك الجديدة، وأمضي أنا سيرا على الأقدام لمصيري المجهول، لا أدري ماذا سأفعل بهذه الدراسة الصعبة التي ما كنت لاختارها لولاك.

سأعود للبيت ببطء فلا تنتظرني أي أخبار جديدة عنك، ما عادت تغرينا أنا وأمي أخباركم، تشبه أخبارك الآن حكايات نجوم الصف الثاني بفيلم سينمائي هندي يتكرر عبث المشهد فيه مئات المرات

مللنا حقا حكايات وحيد أمه الذى تريد أن تفرح به مبكرا، فليس لنا نصيب من فرحتكم... سأنام بسرعة.. وهذا أفضل

أعدك لن أفتح أبواب الحلم لطيفك لئلا أستيقظ مفزوعه..يكفيني صوت صياحك كل صباح الذي أفسد طفولتي

سأبيع الأدوات المنزلية التى تمتلأ بها سحارات بيتنا، والتى انتقيتها قطعة قطعة لأزين بها حياتى الجديدة معك

إن اضطررت يوما وأسست بيتا يضمنى مع غيرك فلا معنى للتكلف فى تزيينه ... بيت بلا روح لن تنفعه الزينة..

سأغير بعض العادات، وأغير ترتيب الأحلام، وسأشترى لنفسى مشغل اسطوانات موسيقية "هذا النوع الجديد ذاته"، ربما أعثر به على تلك الحكايات التى أخرجتك من عالم الطفولة الضيق الذى ما زلت أركض فيه بضفيرتى شعرى الطويلتين وتنورتى القصيرة.

لم أعد أركب الباص.. لا أطيق ركوب أى باص

إنما استقل سيارة تاكسى أختارها بعناية لتشبه نوع سيارتك .. لتقلنى مثلك فى رحلة جديدة

ومثلك أيضا أعدك أن أتأمل جنبات طريقى بحرص وتركيز لعلى أكتشف تحت أى شجرة وبأى مفترق طرق ألقيت بـ ١٥ عاما من الذكريات.

المشهد الأخير

ليل داخلى

قاعة ضخمة تضئ بألوان الذهب المنعكسة على كل شئ، يتوسطها منضدة تجلس عليها ثلاثة عشر سيدة

تبدو الحاضرات مثل ألوان قوس قزح لا رابط بينهم سوى نصف الدائرة الذى يجمعهم والشمس التى أشرقت ذات صباح على مياههم فأضائت بالألوان

لا تعرف "ن.س" كيف اجتمعت قارئاتها.. كيف اتفقن على اللقاء .. من التى قامت بتنظيم كل هذا الحفل الضخم

كل ما تعرفه أنها مدعوة اليوم لحفل التكريم الذى تقيمه لها قارئاتها تقديرا لتأثير رسائلها وحكاياتها فى حياتهن

استقبلت "ن.س" الدعوة

وبعد وقت طويل استغرقته لإعداد الخطاب الذى ستلقيه بهذه المناسبة قررت تمزيق الأوراق .

وعوضا عن ذلك مضت إلى الحفل، وفى الطريق دخلت محل الزهور المجاور لمنزلها تنتقل بين الأنواع المختلفة التى تعرفها جيدا وتعرف تماما من ستختار من بينهن

وفى أقل من دقيقيتن أنهت مهمتها بانتقاء "صحبة ورود" تليق بالحدث.

نورا نور الدين